بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

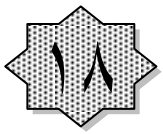

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ١٨ ـ ذي القعدة ١٤٢٩هجرية قمرية

آبان ١٣٨٧هجرية شمسية / تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٨م

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: 88321616 9821+هاتف: 88321411 9821+

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥-١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الموقــع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤. ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥. المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ١٨

ملاحظات حول «التبشير الشيعي»!! ٤

رسائل القرآن ١٠

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي ١٦

العلاقات بين البشر ٢٤

شغل المسلم بهموم أمته الكبرى ٣٦

وحدة الدولة ٤٣

التسامح المذهبي في الأندلس ٥٠

الأخلاق أعظم ساحة للتقريب/ ذنب ام مرض ٥٦

العلم والإيمان ٦٦

أخلاق ابن المقفع ٧٨

الخطوط العامة للمنهج الوحدوي ٨٦

إلى عرفات الله ١٠٠

من أخبار التقريب ١٠١

ملاحظات حول
«التبشير الشيعي»!!

من المتوقع جداً في ظرفنا الراهنة ومافيها من تحديات ومواجهات واصطفاف أن تُثار كلّ حين زوبعة تستهدف:

١ – تحويل الصراع الحقيقي القائم في المنطقة إلى صراع موهوم داخل الصفّ الإسلامي.

٢ -شقّ صفوف المسلمين والحيلولة دون توحّدهم وعودة ريحهم.

٣ -بثّ روح اليأس من المشروع الإسلامي ومن قدرته على إدارة الحياة الإسلامية.

٤ -غرس روح الإذلال في نفوس المسلمين ومصادرة الشعور بالعزّة.

٥ -تنفيذ مشروع صراع الحضارات للوقوف بوجه العودة الحضارية لأمتنا إلى ساحة التاريخ.

٦ -إضعاف روح المقاومة في العالم الإسلامي تجاه الهيمنة الأمريكية والصهيونية.

٧ -إنهاء ظاهرة الدولة الإسلامية في إيران باعتبارها القوّة التي تحدّت الغطرسة الأمريكية في المنطقة.

تثار هذه الزوبعات مرّة باسم التصدّي لتصدير الثورة! ومرة باسم مكافحة الإرهاب! وباسم التصدي للفرس المجوس!! وباسم مواجهة الغزو الصفوي!!! وباسم مكافحة محور الشر!! وباسم الهلال الشيعي!! وغيرها من اللافتات والزوبعات.. وهذه المرة باسم خطر التبشير الشيعي.. غير أن هذه المرّة كانت أشدّ مضاضة لأنها شارك فيها ذوو القربى!!

ملاحظتنا الأولى على كلمة «التبشير»!! وكأن الشيعة دين يختلف عن دين السنّة!! فالتبشير عادة يذكر في مجال نشر المسيحية بين المسلمين، إيحاءات هذه العبارة تدلّ على خلفية متعصبة لا تتناسب مع سماحة الإسلام.

الملاحظة الثانية: أنّ العالم الإسلامي شهد فترات انتشر فيها التشيّع وتزامنت دول شيعية من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق كالدولة الفاطمية والدولة الحمدانية والدولة البويهية، ولم يحدث خلالها أي صدام طائفي ولم يذكر لنا التاريخ في هذه الدول أية محاولة لتشييع أهل السنّة، غير أنّ التاريخ يذكر لنا كوارث حلّت بالشيعة في العصر الأموي والعصور العباسيّة وفي الدولة السلجوقية والدولة الأيوبية، بل وحتى في عصر الدولة العثمانية. وبمناسبة ذكر الدولة العثمانية لا بأس أن نشير استطرادًا إلى أن الشيعة جاهدوا للدفاع عن هذه الدولة أمام الاستعمار البريطاني رغم ما لاقوة من العثمانيين من اضطهاد!

وأمام كلّ هذه الكوارث التاريخية ثمة دافع داخلي لدى الشيعي المعاصر يحدوه نحو أن يعترف به الآخر أخًا مسلمًا وأن يفهم الآخر بأن الشيعة والسنّة يؤمنان بقدسية القرآن والسنة ومنهج آل بيت رسول الله، وبضرورة إعلاء كلمة الاسلام والمسلمين ومواجهة التحديات المحدقة بالأمة الإسلامية. وهذا هو منطق دعوة التقريب ودعوة الشيعة أينما حلّوا بين أهل السنّة.

ولكن لكي نكون صريحين لابدّ أن نذكر هنا وجود أفراد من السنة والشيعة لا يعيشون المشروع الإسلامي بقدر ما يعيشون الإطار الطائفي، فلا يحاولون أن يبحثوا عن المشتركات، بل يتجهون نحو تكريس وجودهم المنفصل عن الآخر، عبر ما يسيء إلى الآخر.

هؤلاء موجودون ويشكلون جبهة معادية للتقريب بل للمشروع الإسلامي ولمشروع الأمة الإسلامية الواحدة، ولا سبيل لمواجهة هذه الظاهرة سوى رصّ صفوف التقريبيين من السنة والشيعة من الذين يؤمنون بأن الإسلام بني على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، وأن كل الطاقات المؤمنة يجب أن تتجه نحو بناء غد إسلاميّ أفضل، ثم أن تعمل جبهة التقريب على بثّ الروح الرسالية بين أبناء الأمة لترفع الوعي العام إلى مستوى التحديات.

أمـا أن يتصـدّى دعـاة التقريـب إلى إثـارة الحساسـيات وإلى الشحن الطائفي وتصعيد المواجهة فهذه هي الطامة الكبرى، وهذه هي الغصّة بالماء.

الملاحظـة الثالثـة: إنّ توجـهَ أفـراد مـن الشـيعة للـدعوة إلى التشيع بين أهل السنّة وتوجّه أفراد من السنة لدعوة الشيعة إلى التسنّن ظاهرة قديمة قِدَم ظهور الفرق الإسلامية، وفي العصر الحديث ظهرت مواقع على شبكة الاتصال ذات خطاب طائفي سني وشيعي بعضها يخاطب الآخر بلغة معتدلة وبعضها يكيل الشتائم والسباب. وكل إناء بالذي فيه ينضح.

ولابدّ هنا من ذكر أمور:

أ – أن يعرض الشيعي رأيه المذهبي وفق أصول علمية وأخلاقية لأخيه السني أو أن يعرض السنّي رأيه المذهبي وفق نفس الأصول أمـر لا غبـار عليـه ولا يسـتطيع أحـدٌ أن يعارضـه، إذ معارضـة هـذا الأمر نوع من قمع الرأي الآخر وهو مرفوض بإجماع المسلمين بل بإجماع البشريّة.

ب -البحث العلمي شيء والاستفزاز والسبّ والشتم واستعمال ألفاظ تسيء إلى الآخر كالنواصب والروافض أمر آخر.

ج – إذا ارتفع المسلمون إلى مستوى الهمّ الإسلامي الكبير، همّ عودة الإسلام إلى الحياة، وهمّ استعادة كرامة المسلمين وعزّتهم، وهمّ استئناف مسيرة الحضارة الإسلامية على مستوى العصر، فإنّ

البحث العلمي سيتخذ مسارًا آخر يتناسب مع هذه الهموم. ويبقى باب البحث العلمي المذهبي مفتوحًا ولكن ضمن المساحة التي يستحقها لا أن يطغى ويحتلّ أكثر مما يستحقه من الاهتمام.

الملاحظة الرابعة:ظهور موجه التخويف من انتشار التشيّع وما يسمونه الشيعة فوبيا والهلال الشيعي رافقت ما تحقّق من انتصارات حزب الله على العدوّ الصهيوني، وبدقّة أكثر تصاعدت بعد جولة قامت بها وزيرة الخارجية الأمريكية إلى بلدان المنطقة.

من هنا فالقضية ترتبط بإرادة قوى الهيمنة العالمية. ولا أسميها سياسية، لأن السياسة تعني صيانة مصالح الأمة، وهذا الذي يجري هو حرب مع مصالح الأمة الإسلامية. وعندنا آلاف الشواهد بأن كلّ من يناصر حزب الله يُتّهم بأنه منجرف بالمدّ الشيعي، وكل من يناصر مواقف إيران الصلبة تجاه أعداء الأمة يتهم بأنه أصبح شيعيًا! بل كل من يرفع نداء الموت لأمريكا (وهذا ما حدث بالفعل في أحد البلدان العربية) يقولون عنه بأنه جزء من المدّ الشيعي!!

ومن الطبيعي أن يكون لسان حال هؤلاء المتهمين القول: إذا كان الوقوف في جبهة الصامدين أمام أعداء الله وأعداء الأمة، والساعين إلى عزّة الإسلام والمسلمين تشيعًا فكلنا شيعة مثلما قال الإمام الشافعي من قبل:

إن كان رفضًا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

الملاحظة الخامسة: في الجوّ الذي يسمونه الشيعة فوبيا أو بث الخوف من التشيّع هل تقف الاستخبارات العالمية والمحليّة ساكنة؟! إنها تستغل هذه الفرصة الذهبية للانقضاض على كل من يعارض أنظمتها. عندنا معلومات بالأرقام تتحدث عن أجهزة استخبارات تمارس العمل الطائفي بين الشيعة والسنّة، وتمارس نشاط العداء القومي بين العرب والإيرانيين. عندنا بالأرقام أجهزة استخباراتية تنشر كتبًا شيعية تستفزّ أهل السنة وكتبًا سنيّة تستفزّ الشيعة. عندنا بالأرقام عناصر من الاستخبارات تظاهرت بالتشيّع وبدأت تثير ضجّة بين أهل السنّة وعناصر من الاستخبارات تسنّنت لتثير بلبلة بين الشيعة.

وهذا لا يعني طبعًا عدم وجود من اقتنع علميًا بالانتقال من مذهب إلى آخر، لكنّ هؤلاء عادة لا يثيرون فتنة ولا يستفزون ولا يسيئون إلى الآخر.

وثمة ملاحظات أخرى بشأن هذه الضجّة التي أثيرت باسم «التبشير الشيعي» نحرص على عدم الخوض فيها كي لا نزيد في الطين بلة، ولنحافظ على ماء بعض الوجوه التي نودّ أن تعود إلى رشدها.

رسائل القرآن

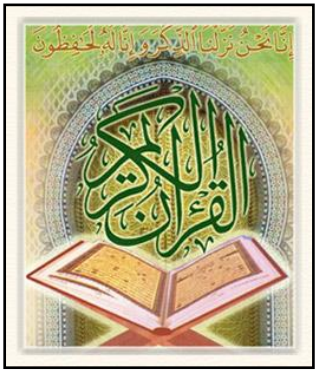

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محسن قراءتي*

٦٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

الرسائل:

● روي أنها نزلت في أصحاب سلمان الفارسي، وذكر لها الطبري قصة طويلة، حصيلتها أن هذا الصحابي الجليل كان قلقًا على مصير أصحابه من العابدين الذين لم يدركوا النبي(ص) فنزلت الآية.

والآية ترتبط بأصحاب الأديان قبل ظهور النبي الخاتم، أما بعد

---

* ـ داعية إسلامي معروف.

بعثته فقد دعاهم القرآن إلى الإسلام، ثم قال لهم: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ .

● ﴿ الذين هادوا﴾ هم اليهود لقولهم: ﴿ إنا هُدنا إليك﴾ أي إنا تبنا إليك. أو لأنهم من نسل يهود وهو من أبناء يعقوب. والنصارى هم المسيحيون لأنهم قالوا في جواب عيسى عليه السلام حين سألهم: ﴿ من أنصاري إلى الله ﴾ قالوا: ﴿ نحن أنصار الله﴾ أو لأنهم أتباع عيسى الناصرى المنسوب إلى مولده في الناصرة بفلسطين. و﴿ الصابئين﴾ أتباع يحيى المؤمنون بتدبير النجوم لهذا الكون. وورد ذكرهم في مواضع عديدة من القرآن إلى جانب اليهود والنصارى والمجوس والمشركين، مما يدلّ على أنهم غير هؤلاء المجموعات الأربع. واتجه الإسلام إلى دعوتهم إلى الدين الحنيف كما دعا سائر أهل الكتاب. وأعدادهم قليلة ودينهم ليس دين دعوة، وغالبًا ما يعيشون اليوم إلى جانب الأنهر والبحار، لما يمارسونه من أغسال متعددة. يعيش عدة آلاف منهم في خوزستان معظمهم جوار نهر كارون، وأكثر منهم في العراق جوار دجلة غالبًا.

● كل الأديان السماوية ذات أصول مشتركة: التوحيد والمعاد والعمل الصالح: ﴿آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً﴾ .

● أهم أصول الاعتقاد بعد التوحيد المعاد: ﴿ بالله واليوم الآخر﴾ .

● كل أصحاب الأديان السماوية الأخرى أهل نجاة إن آمنوا

وعملوا الصالحات، إن لم يكونوا على اطلاع بالإسلام، سواء قبل الإسلام أو بعده، وكانوا غير مقصّرين في جهلهم بالدين الحنيف.

● الإنسان لا يصل إلى حالة الاطمئنان إلاّ في ظل الإيمان بالله وبالمعاد والعمل الصالح: ﴿ .. لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ .

● السعادة والكرامة، بالإيمان والعمل الصالح، لا بالعناوين: مسلم، يهودي، مسيحي، صابئي: ﴿من آمن بالله... لا خوفٌ عليهم﴾ .

٦٣- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

الرسائل:

● رفع الطور (الجبل) فوق بني إسرائيل ورد أيضا في البقرة/ ٩٣، والنساء/١٥٤، والأعراف/١٧١. والميثاق في الآية قد يكون نفس الميثاق المذكور في سورتي البقرة/ ٤٠و٨٢ والمائدة/ ١٢.

● أخذ الميثاق من عوامل العمل ودوافعه: ﴿ أخذنا ميثاقكم﴾ .

● الله سبحانه أتمّ حجته على عباده بإرسال الأنبياء وبالأعمال الخارقة: ﴿ ورفعنا فوقكم الطور﴾ .

● رفع الطور كان تهديداً لليهود، والتهديد ضرورة تربوية للنفسيات المغرورة العنيدة اللجوجة.

● حفظ معطيات الانتصار (النجاة من سلطة فرعون والتحرر

من الاسر و..) يجب متابعته باقتدار: ﴿ ورفعنا فوقكم الطور﴾ .

● تطبيق المنهج الرسالي يجب أن يقترن بالجدّ والعشق والعزم لا بالتساهل والمسامحة والهزل والتردّد والمظاهر: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوّة﴾.

● ذكر المعارف الدينية وتدريسها والدعوة إليها ترسّخ هذه المعارف في الأذهان: ﴿واذكروا مافيه﴾ .

● ذكر الآيات الإلهية والتدبّر فيها يمهّد للتقوى: ﴿واذكروا ما فيه لعلّكم تتقون﴾ .

٦٤-﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾

الرسائل:

● الإنسان الغافل ينسى التهديد مهما كان شديداً: ﴿ثم تولّيتم مِنْ بعدِ ذلك﴾ أي أعرضتم.

● الله سبحانه يغدق بفضله ورحمته حتى على المعرضين، فلا يجوز اليأس: ﴿ فَلَولا فضلُ الله عليكم﴾ .

● النجاة من الخُسران يتحقق في ظل فضل الله ورحمته: ﴿فلولا فضلُ الله عليكم ورحمتُه لكنتم من الخاسرين﴾ .

٦٥- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾

الرسائل:

● من أحكام التوراة تعطيل الأعمال يوم السبت، ولكنّ حرص جماعةٍ من بني إسرائيل وطمعهم أدّى بهم إلى التحايل والعمل يوم السبت، وسيأتي ذكر ذلك. لذلك مسخهم الله على صورة قردة ليكونوا عِبرة للآخرين. وجاء ذكر هذه الحادثة أيضًا في سورة الأعراف/ ١٦٣ -١٦٦. والمسخُ مَظهَر من مظاهر العذاب الإلهي، شمل قومًا من النصارى كذلك حين كفروا بعد نزول المائدة السماوية: ﴿وجعل منهم القردةَ والخنازير﴾ .

والسبت يعني القطع والكف عن العمل، ومنه قوله تعالى: ﴿وجعلنا نومَكُم سُباتًا﴾ ولذلك كان السبت يوم عطلة اليهود.

● ﴿ خاسئين﴾ من «خسأ» أي طرد، كانت تستعمل في طرد الكلب، ثم أصبحت عامة في كل طرد. وقال: ﴿ قردة خاسئين﴾ ولم يقل قردة خاسئة، وجمع المذكر عادة يستعمل في العاقل مما يدل على أن المسخ اقتصر على أجسامهم، لا على عقولهم وأرواحهم، وفي ذلك مزيد من العذاب لهم.

وقيل إن الآية تريد التشبيه، فهم أصبحوا كالقردة، وهذا مثل

قوله تعالى: ﴿ كمثل الحمار﴾ و﴿ كالأنعام﴾ فهو المسخ المعنوي لا الشكلي الظاهري، وقيل إنه الظاهري.

● في الروايات أن المسخ يشمل أناسًا يوم القيامة أيضًا ويكونون بأشكال مختلفة باختلاف خصائصهم الروحية، والممسوخون يحشرون يوم القيامة على عشرة أشكال:

على صورة قردة وهم النمامون، وعلى صورة خنازير وهم أهل السُّحت، ومنكّسون رؤوسهم وهم أكلة الربا، وعُمي وهم الجائرون في الحكم، والصم البكم المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم وهم العلماء والقضاة الذين خالفت أعمالهم أقوالهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلوبون على جذوع من نار وهم السعاة بالناس إلى السلطان، ومَن هم أشدّ نتنًا من الجيف وهم الذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حقّ الله في أموالهم، وبعضهم يلبسون جبابًا من قطران لازقة بجلودهم وهم أهل الفخر والخيلاء.

● سياق الآية فيه تأكيد على الاعتبار من التاريخ: ﴿ ولقد عَلِمتم﴾ .

● من ينسخ أحكام الله فقد مسخ نفسه. تغيير وجه الدين وتحريفه يعقبه تغيير وجه الإنسان: ﴿ اعتدوا.. كونوا قردة﴾ .

● الاستراحة جزء من منهج حياة الإنسان، ومن تجاوز على هذا الجزء من المنهج فقد اعتدى: ﴿ اعتدوا في السبت﴾ .

● من انحرف عن المنهج الإلهي، فقد أضاع شخصيته وأصبح مقلّدًا كالقرود: ﴿ كونوا قردة خاسئين﴾ .

وقفات عند فكر
الإمام الخامنئي

• ليس الحج سفرا ترفيهيا بل هو سفر معنوي إلى الله • تكرار الذكر والعبادة دون حضور القلب يؤدي إلى قسوة القلب • الإنسان بحاجة إلى أن يخرج برهة من الحياة الرتيبة وينقطع إلى الله • الحج ساحة تؤلف بين قلوب المسلمين على اختلاف مذاهبهم وقومياتهم • إحذروا من أي عمل يفرّق بين المسلمين في ساحة الحج • نظامنا رسالي لا طائفي • إن الجمهورية الإسلامية للمسلمين جميعًا • الجمهورية الإسلامية منبر يعبّر عن كل الآمال والتطلعات والمشاعر المكبوتة لدى المسلمين.

وجّه الإمام السيد علي الخامنئي كلمة إلى جميع المسؤولين عن أمور الحج من موظفين مرشدين دينيين وخدمة الحجاج هذانصّها:

فرصة الحج

الحج فرصة عظيمة وفرها الله سبحانه للأمة الإسلامية ولكل فرد مسلم، كما أنه فرصة لنظام الجمهورية

الإسلامية الذي يرفع راية حاكمية الإسلام والشريعة الإسلامية.

فرصة للفرد المسلم

إنه فرصة للفرد المسلم لأن يخلع نفسه من الحياة الاعتيادية بكل ما يحيطها من إشكاليات ولوثات ليدخل في جوّ معنوي سام رفيع مفعم بالصفاء والرياضة التطوعية والقرب إلى الله.

منذ اللحظة الاولى لدخول المناسك يُحرم على الإنسان ما كان يحلّ له في حياته الاعتيادية، وما كان بعضه يبعث على الغفلة وبعضه يدفع إلى الانحطاط. يبتعد الحاج عن كل مظاهر التفاخر الظاهرية والمادية، وأولها الملبس. يزول التمييز في الملبس والزهو بالفاخر منه، ويستوي جميع الحجيج في ملابس إحرامهم. وهكذا كل محظورات الإحرام: استعمال الطيب باعتباره وسيلة للبروز، وعدم الاستظلال، ومنع الممارسة الجنسيّة وما يثير الشهوة. في مدة الإحرام ينسلخ الحاج من كل مظاهر التفاخر والتمييز.

ثم يدخل الحاج فضاء المسجد الحرام، والبيت العتيق بكل ما فيهما من عظمة وهيبة ووقار، رغم خلوهما من مظاهر الفخفخة والزينة المادية.

بعدها ينخرط الحاج في جموع الطائفين حول محور مركزي، وينشغل بالذكر والدعاء والخشوع والحديث مع ربّ العالمين، ويسعى بعدها بين الصفا والمروة، ويقف في المشاعر وببيت في منى، وهو في كل ذلك يقوم بعبادة جماعية متجهة إلى ربّ السماوات والأرض.

رفاه الحجاج

لقد أشار الإخوة أنني وجهت المسؤولين إلى توفير الرفاه للحجيج، نعم، فعلت ذلك، ولكن ذلك لا يعني الخلود إلى البطر والراحة. لقد أكدت للمسؤولين عن الحج دائمًا بأن عليهم توفير الرفاه للحجاج كي يكون همّهم منحصرًا في الانقطاع إلى الله سبحانه، أن لا يفكروا بشيء سوى أداء المناسك بأفضل وجه. لست أقصد من توجيهاتي توفير رفاه الأكل والشرب والنوم، الحج ليس سفرًا ترفيهيًا، إنه سفر معنوي، سفر إلى الله بالجسم والروح معًا. السفر إلى الله عند أهل السلوك سفر قلبي وروحي.

الحج وقسوة القلب!

أولئك الذين وُفقوا لأداء مناسك الحج مرارًا، عليهم أن يحذروا من الوقوع في حالة هبوط معنوي تجاه فريضة الحج، التكرار قد يؤدي إلى أن تصبح فريضة الحج غير ذات

أهميّة، وأن يكون الحاج غير قادر على استشعار التغيير الداخلي لدى أدائه هذه الفريضة!

رضوان الله تعالى على الشيخ محمد بهاري، فقد كان يذكر في كتاباته أن تكرار الذكر والدعاء والصلاة دون حضور القلب يؤدي إلى قسوة القلب!! الحج كذلك، هذه الفريضة يجب أداؤها في الأيام المعلومات بحضور قلب. إنها مدرسة يمرّ بها الإنسان ليفهم أن الحياة يمكن أن يجتازها بهذه الصورة، دونما تفاخر وتكاثر، ودونما انغماس في اللذات المادية.

طبعا هذا لا يعني أن يكون الإنسان مُحرمًا طول حياته، لا بدّ أن يستفيد مما رزقه الله من الحلال، لكنه ينبغي أن لا ينشدّ بهذه اللذات المادية والأهواء العابرة وكأنها هي هدف الحياة!

الإنسان بحاجة إلى أن يخرج من هذه الحياة الرتيبة ساعات لينقطع فيها إلى الله. والحج يمرّن الإنسان على هذا الخروج ويعمّق في نفسه هذه الحاجة الروحية.

وإنها لفرصة عظيمة أن يعي كل من يقصد تلك الديار المقدسة هذه المعاني العظيمة، ويبثّ هذا الوعي بين الآمّين إلى بيت الله من كل فج عميق... وهذه هي الفرصة الأولى للحج.

فرصة الأمة الإسلامية

الفرصة الثانية للأمة الإسلامية. فالأمة الإسلامية تنتمي إلى قوميات وأعراق مختلفة، ولها عادات وتقاليد متنوعة، وهذا الاختلاف والتنوع ينبغي أن لا يكون عامل تفريق بين أبناء الأمة، يجب أن لا يتحول إلى ثغرة ينفذ منها الأعداء لتمزيق صفوف المسلمين.

والحج يوفر سنويًا للملايين من المسلمين فرصة الاستجابة لنداء ربّ العالمين حيث يقول: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾.

الحج ساحة وحدة

المسلمون لهم مذاهب سنية وشيعية، وأهل السنّة لهم مذاهبهم المختلفة والشيعة كذلك، وثمة مذاهب كلامية وفقهية بينها اختلاف في وجهات النظر، لكن الحج يجمعهم على ساحته ويقربهم ويوثق صلاتهم.

وهنا أوجّه خطابي إلى الجميع أن تكون ساحة الحج فرصة تآلف القلوب ورصّ الصفوف، وأن لا تعمد فئة إلى إثارة الحزازات الطائفية على هذه الساحة المقدسة التي شاء الله أن يؤدي فيها المسلمون عبادة (جماعية) تجعل منهم كالبنيان المرصوص.

لا أوجه كلامي فقط إلى السلفيين المتعصبين الذين

يقفـون في المدينـة ليوجهـوا الإهانـات إلى مقدسـاتكم. بـل أوجهه لكم أيضًا. إحذروا من كل عمل يفـرّق بين المسلمين. لا أريد هنا أن أعدّد الأعمال التي تؤدي إلى التفرقة، أترك ذلك لكم، لكي تفكروا في الممارسات التي تؤدي إلى كراهية السني في قلب الشيعي، وكراهية الشيعي في قلب السني، واسعوا إلى تركها والابتعاد عنها تمامًا. الحج وسيلة التئام، وساحة وحدة، وفرصة توحيد القلوب والنوايا والمقاصد في عالم الإسلام. لا يجوز أن يظهر فيه ما يؤدي إلى إثارة الضغائن والاحقاد. هذه مسألة هامة وجادّة، وتحتاج معرفة مصاديقها إلى فهم ووعي وذكاء.

فرصة الجمهورية الإسلامية

الفرصة الثالثة التي يوفرها الحج هي إزالة الأوهام والشكوك بين المسلمين، وخاصة ما تتعرض له الجمهورية الإسلامية من هجوم إعلامي شرس منذ ولادتها حتى اليوم.

لقد ذكرت مرارًا أن دولة الإسلام في إيران مع كل ما تتحلّى به من قدرة وقوّة وعظمة فهي مظلومة.

مظلومة بسبب سيول التهم والتشكيك الذي يكيله أعداء الجمهورية الإسلامية لمنع انتشار حقائقها بين المسلمين...

ثلاثون سنة وهم يبثون أنواع الشائعات المغرضة المسيئة

بشأن ما تحمله الجمهورية الإسلامية من فكر وما تقوم به من عمل. واجبكم في الحج أن تبيّنوا الحقيقة للمسلمين.

نظامنا رسالي لا طائفي

أكثرية المواطنين في إيران شيعة، لكن نظامنا يحتضن الشيعة والسنة معًا. والدليل على ذلك موقف الملايين من أهل السنّة إلى جانبنا في الثورة الإسلامية وبعد انتصار الثورة وفي الحرب المفروضة علينا، بل إن منهم من استشهد دفاعًا عن الجمهورية الإسلامية.

في البلدان الإسلامية الآسيوية منها والافريقية وفي سائر بقاع العالم بل في داخل أكثر البلدان عداءً لنا أعني أمريكا يوجد مسلمون ليسوا من الشيعة لكن قلوبهم طافحة بحب الجمهورية الإسلامية وحبّ الإمام الراحل وحبّ هذا الشعب الناهض المقاوم.

جمهوريتنا إسلامية، لكن المحرّفين يعمدون إلى أن يضفوا عليها صفة العداء للمذاهب الإسلامية.

قولوا للمسلمين رجالاً ونساء أن الجمهورية الإسلامية لهم جميعًا، ما حدث هنا إنما هو تحقيق لآمال كل مسلم. أي مسلم في الدنيا لا يتطلع إلى حاكمية القرآن؟! هنا تحققت حاكمية القرآن وحاكمية الشريعة الإسلامية بفضل الله وقوته.

مَن مِن المسلمين اليوم غير مستاء من سيطرة الأجانب على البلدان الإسلامية؟ إنهم يعيشون مرارة هذا التسلط بأعماقهم، لكنهم لا يستطيعون أن يعبّروا عن هذا الاستياء وعن هذه المرارة، لا يسمحون لهم بذلك. والجمهورية الإسلامية هي المنبر الكبير العظيم العالمي الحرّ الذي يعبّر عمّا في قلوبهم، وما يجول في حناجرهم من صوت مخنوق، وما يموج في صدورهم من عواطف مكبوتة. وكل عداء أمريكا والمستكبرين لنا يعود إلى هذه الخصوصية في الجمهورية الإسلامية. نحن نعبّر عمّا في قلوب المسلمين. لا تنظروا إلى الأمة الإسلامية من زاوية بعض الحكومات الفاسدة المسيطرة على مقدراتهم. قلوب هذه الأمة دامية من نفوذ أمريكا وتدخل أمريكا وتكبر أمريكا وسائر المستكبرين، غير أن الذي يعبّر عن ذلك بكل صراحة واقتدار هو الجمهورية الإسلامية على اختلاف مستوى المسؤولين.

هذه حقائق جميلة يجب أن توضّحوها لأبناء أمتنا الإسلامية.

العلاقات بين البشر

محمد علي التسخيري*

• التنوع له غاياته الكبرى في الخلق • ثمة تلازم بين المسيرة الحضارية وعملية الحوار والإيمان بالقيم الإنسانية المشتركة • فطرة الإنسان تتطلب التواصل الفكري مع الآخر • الحوار لا يعني ضعف موقف المحاور أو تردده في عقيدته • لابد من دراسة الجوانب المشتركة للمتحاورين • الإسلام يربّي أبناءه على رؤية واسعة للبشر • العالمية اتجاه طبيعي في الإنسان وحركة مباركة • الامن حاجة إنسانية دائمة لا تغيّرها الظروف.

الإسلام بمقتضى انسجامه مع الفطرة والواقع الإنساني أقرّ أمورًا تنطلق من الواقع لتنظيم العلاقات بين المجموعات البشرية أروع تنظيم، مما يشكل أروع نظرية إنسانية في هذا المجال. وقد سعينا في هذا البحث لتبيين بعض الملاحظات أو الأضوية في هذا المجال، مستندين إلى النصوص الإسلامية المتعلقة بهذا الموضوع.

الملاحظة الأولى:

التنوع لطف إلهي له غاياته الكبرى في الخلق: وقد حفلت

* - الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

الآيات القرآنية بما يدل على هذه الحقيقة من قبيل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ .

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ إلى غيرها من الآيات الشريفة التي تجعل التنوع سنة إلهية ونعمة على الموجودات وأهمها الإنسان، تسهل له حياته إلى جانب ما لا يحصى من الظواهر التي تدل على التخطيط الإلهي الحكيم لهذه المسيرة الإنسانية المتكاملة. ولاريب في أن التنوع – كما تشير بعض النصوص – ضروري لتحقيق التعارف السليم باعتباره مقدمة للتعاون البناء لتحقيق أهداف الخلقة الإنسانية،

كما أنه ضروري لفسح المجال لانطلاقة العقل نحو الاجتهاد والإبداع والابتكار وتطوير الحياة عبر الاستفادة من قدرة التجريد العقلي والخلاص من أسر الظروف الحسية لتصور الحالة الأفضل وبالتالي التخطيط لتحققها.

وهو ضروري للتنافس في الخير لتحقيق الدفع التكاملي المطلوب بما فيه التسخير المتبادل للطاقات والتعاون اللازم.

ثم إن هذا التنوع لابد أن يعني الاعتراف بتنوع الرؤى والمواقف والمذاهب.

ومن هنا لا نجد أي تأكيد على وحدة الأفكار إلا ما يتميز به المسلم عن غيره.

الملاحظة الثانية:

إن الإنسان يطمح ـ كما قلنا ـ بفطرته إلى تغيير الواقع إلى الشكل الأمثل، وهو يحتاج في كل مراحل التغيير إلى الإيمان بالقيم الثابتة وعلى النحو التالي:

أولاً : في مرحلة إيمان الإنسان بذاته.

ثانيًا: في مرحلة العبور إلى خارج الذات.

ثالثًا: في مرحلة صياغة الفكر وتكوين الصورة عن الحاضر والمستقبل انطلاقًا نحو التغيير إلى الأفضل .

رابعًا: في مرحلة نقل الفكرة إلى الآخرين واستلام افكارهم .

خامسًا: في مرحلة السبر والتقسيم والتمحيص والتداول.

سادسًا: في مرحلة الاستنتاج والاقتناع .

سابعًا: في مرحلة التخطيط للتغيير.

وأخيرًا : في مرحلة تنفيذ التغيير وتحقيقه.

وخلاصة الأمر:

إن هناك تلازمًا تامًا بين المسيرة الحضارية الإنسانية التغييرية وعملية الحوار والإيمان بالقيم المشتركة والمطلقة.

القيم المشتركة مطلقة واقتضائية:

إننا وبالتحليل النفسي الوجداني الذي اعتمدناه في مسيرتنا هذه ندرك وجود منظومتين من القيم: إحداهما مطلقة التأثير لا تحدها حدود أو ظروف معينة، والأخرى هي قيم الحالة الطبيعية أو (قيم الأصل) مما يعني تحولها إلى النقيض أو فقدانها التأثير المطلوب إذا طرأت ظروف أخرى.

ومن أمثلة المنظومة الأولى:

قيمة العدالة فهي مطلوبة مهما كانت الظروف.

وكذلك تقديم الشكر للمنعم المتفضل.

ومن أمثلة المنظومة الثانية:

حفظ الذات، حفظ الكرامة، التعاون، الدفاع عن المستضعفين و السلام والأمن، التغيير إلى الأفضل، الرحمة، الإيثار، الأمانة.

فقد يكون الصدق في بعض الأماكن نتيجة ما يؤول إليه من

تبعات ظلمًا لا عدالة، وكذلك السلام أحيانًا بما يؤدي إليه من جرأة على حرمات الإنسانية. فإذا كانت العدالة قيمة مطلقة، فإن السلام قيمة نسبية نعمل على تحقيقها إذا عادت وجهًا من وجوه العدالة، ونرفضها إن كانت ظلمًا، ولكن التساؤل الأساس هو: ماهي معايير العدالة؟ وكيف نتأكد من تحقيقها.

إن الأديان السماوية كلها تؤكد على معيارين:

الأول: معيار تعبدي نستفيد فيه من علم العالم المطلق وهو الله تعالى وهو تعليمات الدين الثابتة، والتي نتأكد من كونها صادرة من الله سبحانه، ذلك إننا نتأكد قبل ذلك من علم الله الشامل، ومن لطفه ورحمته بالإنسان المخلوق ومن عدالته وتمتعه بكل صفات الكمال، فهو لا يريد بالإنسان إلا الخير ولا يخدع الإنسان، وإنما يكشف له كل الواقع ويريد له كل الخير.

الثاني: معيار وجداني يكفي فيه التأمل في الأعماق وقناعاتها، أو فلنعبر بأنه يكفي فيه الرجوع إلى الفطرة نفسها.

وما يساعدنا في اكتشاف العمق الفطري هو كون هذه القناعة ـ أيّة قناعة كانت ـ من ملازمات الطبيعة الإنسانية، ولذلك نجدها متوفرةً لدى كل أبناء الإنسان في مختلف ظروفهم وحالاتهم الفردية والاجتماعية وأزمنتهم وأمكنتهم.

ولكي نتأكد من هذا المعنى نستطيع أن نطرح هذا السؤال على أي إنسان: «هل تعتبر أن السلوك الفلاني سلوكًا إنسانيًا أم

سلوكًا حيوانيًا»: فمثلاً لنركز على «قتل اليتامى والعجزة والمستضعفين للتلهي والتشهي» مثل هذا السلوك يعد سلوكًا وحشيًا من قبل أي إنسان بلا ريب: والقرآن الكريم أحيانًا يعيد الإنسان ًالى تأمله الوجداني وقناعته الفطرية حينما يقول: ﴿أحلّ لكم الطيبات﴾ ويترك أمر تعيين الطيبات له ، ويقول ﴿إنَّما حَرّم ربّيَ الفواحشَ﴾ ويترك أمر تعيين الفواحش له أيضًا ويعتبر الخروج عن الحالة الإنسانية «فسقًا» وانحرافًا عن الطبيعة ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾.

الملاحظة الثالثة:

إن التركيبة الوجودية الفطرية تتطلب التواصل الفكري مع الآخرين عبر صياغة الفكرة داخليًا ونقلها عبر الطريقة الرمزية واللغوية إلى الآخرين والتعرف على ما يفكر به الآخرون ليتم التفاعل بين الأفكار وبالتالي تطويرها.

ولكن هذا التفاعل يحتاج إلى قواعد يدركها الإنسان بالوجدان إجمالاً وتبلورها وتوضحها إرشادات الوحي أيما توضيح، ونحن نعتقد أن الوحي – بالإضافة إلى كشف المجالات المعرفية المجهولة لدى الإنسان في سبيل تسهيل وصوله إلى كماله – يستهدف أن يبرز له كوامنه الفطرية واستعداداته النفسية ويوضح له بجلاء إدراكاته العملية.

ومن هنا نجد القرآن الكريم يعرض أمام الإنسان نظريته الحوارية المتكاملة الشاملة لمرحلة ما قبل الحوار ولأهدافه ومواضيعه وأخلاقه وشروطه اللازمة كي يحقق هدفه المنشود دون أن يقع فريسة الجهل والتعصب والنرجسية والاعتداد بالنفس والعناد والخرافات والتقليد الأعمى والتهويش والاستخفاف وأمثال ذلك مما يتعقبه القرآن بكل دقة ويعمل على نفيه، وتنقية الحياة الفكرية منه ليتسنى للإنسان أن يحاور بكل صفاء وموضوعية وبروح حضارية تواقة للكمال.

الملاحظة الرابعة:

مما يتردد في بعض الكتابات أن الحوار يستلزم الاعتراف بالآخر، أو يعني التردد في الموقف وعدم الوثوق منه، أو يعني وضعه إلى مستوى الفكر الآخر، وربما قيل إن موقف من يطلب الحوار هو موقف الضعيف الذي يطلب أن يعترف به الآخرون.

ولكننا نعتقد أن كون الحوار سبيلاً منطقيًا إنسانيًا ينفي عنه كل هذه الأمور؛

فهو لايستلزم الاعتراف بالآخر ولايتطلب أن يعترف الآخر به وإنما يبحث عن مسيرة ومساحة مشتركة، أو عن ما إذا كان الآخر ينظر إلى نقاط مبهمة لا يتفهمها ويحتاج الأمر إلى توضيح ما. نعم، من شرط الحوار احترام الآخر وعدم الإساءة إليه أو إثارته ليخرج عن حالته الطبيعية وهذا منهج قرآني أصيل.

وهو أيضًا لا يعني التردد في الموقف بقدر ما يعني الثقة به وقد دعي الرسول(ص) ليقول للمشركين: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين﴾ وهو أعظم الناس إيمانا. إن الواثق لديه أقدر على الدخول في الحوار لأنه مطمئن من جوهرته الثمينة فلا يخاف عليها من نقد ناقد.

الملاحظة الخامسة:

مما يرتبط بعملية الحوار أن الهدف العام يجب أن يكون دراسة الجوانب التي يشترك فيها المتحاوران، وإن كان ذلك الاشتراك في الخطوط الجوهرية دون التفاصيل، ثم دراسة إمكان التوسع في هذه المساحة عبر سبر أبعاد المسائل والتوصل فيها إلى محاور مشتركة، ثم يأتي بعد ذلك التخطيط لتحويل المساحة المشتركة إلى واقع مجسد، وهنا يبرز أمران:

أولهما: إن هذا المقصد عام متسع يمكن تطبيقه على كل المتحاورين مهما كانت مواقفهما النظرية والعملية. وها نحن اليوم نعيش دعوة للحوار بين العالم الإسلامي والغرب. ورغم اتساع الهوة بينهما، وقيام الغرب بكل ما من شأنه القضاء على الهوية الإسلامية، وتوجيهه الإهانة للمقدسات الإسلامية السامية بدوافع صليبية متطرفة أو صهيونية حاقدة، فإن المجال لازال مفتوحًا كما نرى لحوار بين العقلاء من الطرفين يحاول حل القضايا العالقة وتبين المساحة المشتركة، وهذا لايمنع من العمل

الـرادع ضـد العناصـر المتطرفـة وإيقافهـا عنـد حـدها بمختلـف الأساليب المناسبة.

وثانيهما: إن المساحة المشتركة كلما اتسعت اتسعت معها المسؤوليات المشتركة، وتبع ذلك تعاون أكبر في المسار الحضاري المشترك حتى لو تطلب الأمر تجميد بعض الخلافات لصالح ذلك. وكمثال على ذلك نطرح هنا مسألة الحوار بين الأديان الإبراهيمية والتعاون لصد موجة الإلحاد والعلمانية ورفع مستوى المعنويات وتقوية حركة التوازن الحضاري، لأن الأديان تشكل روح الحضارات حتى ولو حاولت بعض الحضارات التنصل من روحها الدينية وادعاء العلمانية.

الملاحظة السادسة:

ونحن نعتقد أن المسؤولية الحضارية مسؤولية مهمة يوليها الإسلام أشد الاهتمام. حيث يربي في المسلم رؤية إنسانية واسعة تجعله يفكر في الآخرين، فإما هم إخوة في الدين أو نظراء في الخلق ـ كما يعبر الامام علي في نهج البلاغة ـ وينصر كل مستضعف مهما كان اتجاهه، ويدعم كل حركة عادلة مهما كان لونها، وهو يعتقد أن لكل كبد حرّى لأجرًا كما يعبر الرسول الأكرم(ص)، بل هو يعشق الطبيعة ويحبها، ولا يؤذي حتى الحيوانات الأليفة إنها إذن خلقية حضارية. وهي كما قلنا تتسع باتساع المساحة المشتركة، فمسؤولية المسلم تجاه المسيرة

الإنسانية ورفدها ومحو الظلم منها كبيرة، وتجاه المتدينين أكبر، وتجاه المسلمين أكبر و أكبر، وهكذا حتى يصل الأمر إلى المحلة المشتركة والعائلة المشتركة.

الملاحظة السابعة:

إن مسألة الدفاع عن حقوق الإنسان تندرج في الملاحظة السالفة بقوة.

ذلك أننا نعتقد أن الله أودع في الفطرة الإنسانية ما تدرك به هذه الحقوق، وما به يتم ضمانها للنوع الإنساني وحتى الحقوق المكتسبة من قبيل ما يستحقه المتقون والمحسنون والصالحون والآباء والأقارب من احترام وشكر وضعت في الفطرة منا شيء لانتزاعها وتدركها النفس الإنسانية بـ (العقل العملي) كما يسميه الفلاسفة، أو بالوجدان وهو خصيصة فطرية تتواجد مع الإنسان وتلومه إن انحرف عن الصبغة الطبيعية الإنسانية.

ومن هنا نقول: إن الاسلام ينطلق في نظريته عن حقوق الإنسان من منشأ واقعي فطري وينسجم في كل تشريعاته مع هذا المنشأ. في حين تعجز النظريات المادية ـ وهي لا تؤمن بالفطرة ـ عن إقامة مثل هذا البناء على أسس متينة، بل إننا نعتقد أن الحديث عن العدالة والأخلاق والذوق الفني، بل وعن المعرفة الإنسانية لا معنى له إذا أنكرنا الفطرة.

الملاحظة الثامنة:

إن العالمية هي اتجاه طبيعي يخرج به الإنسان عن دائرته الضيقة إلى المساحة الإنسانية الواسعة ومن كثرته إلى وحدته، ومن همومه المحدودة إلى المسؤولية الكبرى، وبالتالي فهي حركة مباركة. ونحن نشهد اليوم كيف ترابطت المصالح واشتبكت الأمور في مجال البيئة والإعلام والحقوق والعلوم والطاقة وغير ذلك، إلا أن المذموم والخطير في الأمر أن هناك حركة شيطانية تحاول الهيمنة ثقافيًا واقتصاديًا وعسكريًا لسرقة هذا النتاج الحضاري وتحقيق أهدافها وسحق الآخرين وهو ما نسميه اليوم بالعولمة المجنونة والحمقاء والأمركة وما إلى ذلك مما يتطلب أن تتحرك البشرية كلها ضد هذا الاستغلال الحضاري المقيت.

الملاحظة التاسعة:

لا ريب في كون الأمان مطلبًا إنسانيًا فطريًا يستمد جذوره من أهم غريزة وجدت في فطرة الإنسان، وهي غريزة «حب الذات». وهذه الغريزة تعمل مع باقي الغرائز بشكل متناسق لتحقيق سير إنساني متوازن نحو الأهداف التكاملية العليا للإنسان .. فلا يكفي وجود الدوافع الغريزية لتأمين المسير المتوازن وإنما يجب تأمين جو طبيعي للذات الفردية وللذات النوعية كي تدفعها تلك الدوافع نحو أغراضها المنشودة.

وتأكيدًا من الفطرة نفسها على توفير الجوّ الآمن، نجد

العناية الإلهية قد غرست فيها بديهيات الحكمة، والميول نحو العدل، والنفور من الظلم والاعتداء، بل ومنحتها القدرة على تعيين الكثير من مصاديق العدل والظلم، مما يمهد لها السبيل للاتصال بالخالق العظيم وتقديم معاني الولاء له، وحينئذ تنفتح لها آفاق الوحي، وتكتشف بذلك الأطروحة السماوية الرحيمة التي تعطيها المخطط الكامل للمسيرة، وتضمن لها كل ما يوصلها إلى أهدافها.

فالأمن إذن حاجة إنسانية دائمة لا تغيّرها الظروف، وليس ظاهرة عرضية حتى يقال، بأنها معلولة لوضع اجتماعي معين إذا ما تبدل تبدلت هذه الظاهرة معه. ومن هنا أيضًا يكون من الطبيعي أن نتصور الحاجة إلى نظام شامل يتكفل حماية الأمن الفردي والاجتماعي على مدى مسيرة الإنسان الطويلة.

ولا يمكننا أن نتصور حدودًا لمسألة حماية السلام والأمن إلا في إطار مسألة التكامل الإنساني ذاتها، بعد أن ندرك أن الفطرة - كما قلنا - هي معيار الحقوق الإنسانية كلها بشكل إجمالي. وأنها هي التي فرضت حماية الأمن الإنساني لتحقيق الهدف الكبير. وحينئذ لن يقبل الأمن تحديدًا إلا إذا خرج عن وظيفته الحياتية، وعاد عنصرًا ضد الأمن نفسه، فلا معنى إذن لضمانه.

وإلا فكيف نتصور الفطرة التي أعلنت الحاجة إلى الأمن وهي تسمح للفرد بالقضاء على أمن نفسه هو، أو أمن الآخرين، وبالتالي على أمن المسيرة الإنسانية كلها دون أن تحدده بما يردعه عن فعلته، حتى ولو كان ذلك بتهديد أمنه؟

مفاهيم هامة
في التقريب

شغل المسلم بهموم أمته الكبرى

يوسف القرضاوي*

• فراغ النفوس من الهموم الكبيرة يوقع في حفرة الاختلافات • إن من الخيانة أن نغرق أمتنا في بحر من الجدل اختلف فيها السابقون وتنازع فيها اللاحقون ولا أمل في أن يتفق عليها المعاصرون •هذا الجدل يؤدي إلى نسيان مشاكل الامة ومصائبها ومآسيها التي ربما كنا سببا أو جزءا من السبب في وقوعها • من الخيانة أن يتقاذف الناس من أجل مسائل تحتمل أكثر من وجه وتقبل أكثر من تفسير • هل يجوز لمسلم عنده مسكة من العقل أن يثير ضجة من أجل جزئيات لا تدخل في دائرة الضروريات؟! • مشكلتنا الاساسية اليوم مع من يقول ببشرية القرآن ومع جماعة العلمانيين.

من أكثر ما يوقع الناس في حفرة الاختلاف، وينأى بهم عن الاجتماع والائتلاف : فراغ نفوسهم من الهموم الكبيرة، والآمال العظيمة، والأحلام الواسعة. وإذا فرغت الأنفس من الهموم الكبيرة، اعتركت على المسائل الصغيرة، واقتتلت ـ أحيانًا ـ فيما بينها على غير شيء.

---

* - داعية الاعتدال والتقريب.

ولا يجمع الناس شيء كما تجمعهم الهموم والمصائب المشتركة، والوقوف في وجه عدو مشترك، وما أصدق ما قاله أحمد شوقي : "إن المصائب يجمعن المصابينا". وإن من الخيانة لأمتنا اليوم أن نغرقها في بحر من الجدل حول مسائل في فروع الفقه أو على هامش العقيدة، اختلف فيها السابقون، وتنازع فيها اللاحقون، ولا أمل في أن يتفق عليها المعاصرون، في حين ننسى مشكلات الأمة ومآسيها ومصائبها التي ربما كنا سببًا أو جزءًا من السبب في وقوعها.

وهذا ما حدا بابن عمر، رضي الله عنهما، حينما سأله من سأله من أهل العراق عن دم البعوض في حالة الإحرام، فأنكر على السائل هذا التنطع والتعمق في السؤال عن هذه الدقائق، على حين أن قومه خذلوا الحسين (عليه السلام) حتى سفك دمه، ولقي ربه شهيدًا مرضيًا.

وهكذا قال ابن عمر : هؤلاء يسألون عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله(ص) وقد قال رسول الله(ص) : «هما ريحانتاي من الدنيا»[1] . قال الحافظ في الفتح : أورد ابن عمر هذا متعجبًا من حرص أهل العراق على السؤال عن الشيء اليسير والتفريط في الشيء الجليل [2].

---

١ . الحديث رواه أحمد في مسنده في عدة مواضع (٥٨٦٥ . ٥٦٧٥) ورواه البخاري في المناقب، الحديث (٣٧٥٣).

٢ . فتح الباري (٧٩١٧).

من الخيانة أن يحمى الوطيس، وتنصب المجانيق، ويتقاذف الناس بكلمات أشد من الحجارة، وأنكى من السهام، من أجل مسائل تحتمل أكثر من وجه، وتقبل أكثر من تفسير، فهي من مسائل الاجتهاد، التي دلت على سعة هذا الدين ومرونته، المصيب فيها مأجور والمخطئ فيها معذور، وخطؤه فيها مغفور، بل هو ـ بنص الحديث ـ مأجور.

لهذا كان من الواجب على الدعاة والمفكرين الإسلاميين أن يشغلوا جماهير المسلمين بهموم أمتهم الكبرى، ويلفتوا أنظارهم وعقولهم وقلوبهم إلى ضرورة التركيز عليها والتنبيه لها، والسعي الجاد ليحمل كل فرد جزءًا منها، وبذلك يتوزع العبء الثقيل على العدد الكبير، فيسهل القيام به.

إن العالم يتقارب بعضه من بعض على كل صعيد، رغم الاختلاف الديني، والاختلاف الإيديولوجي، والاختلاف القومي، واللغوي، والوطني والسياسي.

لقد رأينا المذاهب المسيحية ـ وهي أشبه بأديان متباينة ـ يقترب بعضها من بعض، ويتعاون بعضها مع بعض.

بل رأينا اليهودية والنصرانية – على ما كان بينهما من عداء تاريخي – يتقاربان، ويتعاونان في مجالات شتى، حتى أصدر الفاتيكان منذ سنوات وثيقته الشهيرة بتبرئة اليهود من دم المسيح.

ورأينا على المستوى الإيديولوجي تقارب العملاقين : أمريكا والاتحاد السوفيتي ـ عندما كان قائمًا ـ فيما سمي «سياسة الوفاق ». وكذلك رأينا تقارب أمريكا مع الصين.

أما أوروبا التي مزقتها الحروب والصراعات والنزاعات القومية والإقليمية والسياسية والإيديولوجية، فهي اليوم تتقارب، ثم تتقارب حتى توشك أن تكون دولة واحدة تذوب بين أقطارها الفواصل والحدود.

رأينا هذا كله بأعيننا، ورأينا في مقابله المسلمين يتباعدون، ويتنكر بعضهم لبعض، بل يقاتل بعضهم بعضًا.

إن أبناء المسلمين في أقطار شتى يموتون – ماديًا – من الجوع والمرض، ويموتون – معنويًا – بالجهل والأمية، وانتشا ر الخرافات، ويتعرضون لأخطار التنصير والتكفير والتضليل، فكيف لا نهتم لأمرهم، ونسعى لإنقاذهم؟ ومن لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم.

إن الأمة المسلمة لا تزرع ما تأكل من القوت الضروري، ولا تصنع ما تستخدمه من السلاح اللازم للدفاع عن الحرمات، ولا من الآلات ما يجعل لها وزنًا واعتبارًا، فهي كلها ضمن العالم الثالث، ولو كان هناك عالم رابع لنسبت إليه! وكثيرًا ما اتهم الإسلام ظلمًا بأنه سبب تخلّفها، مع أنها يوم تمسكت به كانت سيدة الأمم وأستاذة البشرية.

ولقد كتبت دراسة صدرت في كتاب عن "الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي" وبينت فيه أن الصحوة ليست بمعزل عن هموم هذا الوطن الكبير، إنها مشغولة الفكر والقلب بهذه الهموم، معنية بالتعرف على أسبابها والطريق إلى علاجها من صيدلية الإسلام.

وعنيت - بخاصة - تيار «الوسطية الإسلامية» الذي يفهم الإسلام فهمًا شموليًا إيجابيًا جامعًا بين السلفية والتجديد، موازنًا بين الثوابت والمتغيرات، بين النظرة إلى التراث والتخطيط للمستقبل.

لقد تحدثت هناك بشيء من التفصيل عن هموم سبعة أساسية هي:

١ . هم التخلف العلمي التكنولوجي والحضاري.

٢ . هم النظام الاجتماعي والاقتصادي.

٣ . هم الاستبداد والتسلط السياسي.

٤ . هم التغريب والغزو الفكري والثقافي.

٥ . هم العدوان والاغتصاب الصهيوني.

٦ . هم التجزئة والتمزق العربي والإسلامي.

٧ . هم التسيب والانحلال الخلقي.

وهي - بلا ريب - هموم كبيرة وثقيلة، وتحتاج لمعالجتها إلى تكاتف العقول لتفكر، والعزائم لتصمم، والأيدي لتنفّذ، وتستغرق من الجهود والأوقات والأموال الكثير والكثير.

ولو شئنا لأضفنا إليها همومًا وهمومًا، مثل الحروب الأهلية والصراعات الإقليمية والمجاعات المهلكة، والهجمات التنصيرية الشرسة، وغيرها...

أفيسع مسلمًا غيورًا على دينه، مهتمًا لأمر أمته، عنده مسكة من العقل، أن يعرض وينأى بجانبه عن هذه الهموم الضخمة، ثم تراه يقوم ويقعد، ويبرق ويرعد، من أجل جزئيات علمية أو سلوكية، لا تدخل في دائرة الضروريات، ولا الحاجيات، وإنما هي كلها في نطاق التحسينات والكماليات، وفي سبيل هذه الفرعيات لا يبالي أن يمزق الشمل الملتئم، ويوقظ الفتن النائمة، ويحرّك العصبيات الساكنة.

هذا على حين يجد العالم من حولنا يتناسى الخلافات الجذرية بين بعضه وبعض، وهو ما أثمر التقارب العالمي الذي نشهده اليوم على أصعدة شتى.

لهذا يجب أن لا نشغل الناس بالمسائل الفرعية، ونقيم الدنيا ونقعدها من أجل قضايا جزئية أو خلافية، ونلهيهم بذلك عن الأصول الكلية والقضايا المصيرية.

ويدخل في هذا الموضوع : الإعراض عما لا ثمرة له، ولا طائل تحته من البحث في الموضوعات التي شغلت العقل الإسلامي فترة أو فترات من التاريخ، ثم لم يعد لها اليوم مكان.

وذلك مثل موضوع «خلق القرآن، الذي احتل مساحة واسعة من التفكير الإسلامي في بعض العصور، وحميت المعركة فيه بين

المعتزلة وغيرهم، واستطاع مفكرو المعتزلة أن يورطوا الدولة العباسية وخلفاءها في هذا الصراع، وأن يدخلوا معركة مع جمهور المسلمين وعلمائهم، وأئمتهم، وعلى رأسهم الإمام الرباني الصابر المحتسب أحمد بن حنبل، وأن يستخدموا الحديد والنار والسجن والتعذيب لإجبار المخالفين على ترك ما يعتقدون، وموافقتهم فيما إليه يدعون.

لقد كانت فتنة مظلمة، ومحنة قاسية، يحمل وزرها الذين وسموا بأنهم دعاة الحرية الفكرية.

على كل حال لهذه الفتنة ظروفها ومبرراتها في وقتها، ولكن لا يوجد أي مبرر لإحيائها اليوم بوجه من الوجوه.

لهذا عجبت ممن يتحدث عن الإمامية أو الزيدية أو الإباضية أوغيرهم من الطوائف بأنهم يقولون بخلق القرآن، فما ينبغي لهذه المشكلة أن تثار عند أي من الفريقين...

إن مشكلتنا اليوم ليست مع من يقول بأن القرآن كلام الله مخلوق، بل مع الذين يقولون : القرآن ليس من عند الله، بل هو من عند محمد، أي الذين يقولون ببشرية القرآن.

ثم مشكلتنا كذلك مع الذين يؤمنون بإلهية القرآن، ويرتضون بمرجعيته في العقيدة والعبادة، ولكنهم لا يرتضونه منهاجًا، ودستورًا للدولة والمجتمع، وهم جماعة "العلمانيين"، الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض!.

وحدة الدولة

وهبة الزحيلي *

من المبادئ الأساسية المعروفة في الإسلام أن المسلمين أمة واحدة، وشعب واحد هو قاعدة وجودهم الدولي، تنفيذًا لقول الله تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ ، ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ ، ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، وجاء حديث الرسول(ص) في حجة الوداع : "كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى".

وقاعدة هذه الأمة الواحدة ونسيج رابطتها: الأخوة الإيمانية، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾.

وتم تحقيق نواة الدولة الأولى النموذجية في العهد النبوي وما بعده، وأوجب العلماء كون الدولة واحدة، غير متعددة، قال الماوردي وأبو يعلى: لا يجوز عقد الإمامة لإمامين في بلدين في حالة واحدة، فإن عقد لاثنين، لم تنعقد إمامتهما، لأنه لا يجوز أن يكون للأمة إمامان في وقت واحد. وشذ قوم فجوزوه، والصحيح الذي عليه الفقهاء المحققون أن الإمامة لأسبقهما بيعة وعقدًا،

---

* . أستاذ جامعي سوري.

قياسًا على الوليين في تزويج المرأة إذا زوجاها باثنين، كان الزواج لأسبقهما عقدًا.

وكذلك الشيعة يوجبون وحدة الإمامة أو الدولة من باب أولى.

وفي التاريخ الإسلامي بدأ انقسام الدولة في العهد الأموي حيث وجدت الخلافة الأموية في الأندلس، ثم آل الأمر في العهد العباسي إلى وجود ثلاث خلافات: الخلافة العباسية في المشرق (بغداد) والخلافة الفاطمية في مصر، والخلافة الأموية في الأندلس.

وفي عصرنا بعد زوال الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك مصطفى كمال عام ١٩٢٤، وبعد التخلص من الاستعمار، ظهر على المسرح الدولي الحاضر ٥٥ دولة إسلامية إقليمية، تأثرًا بظهور الدول الإقليمية، ومساعي الدول الغربية الاستعمارية، اتباعًا لقاعد ة "فرق تسد".

أوروبا وأمريكا أدركت أن قوتها بالاتحاد، فأمريكا تشمل أكثر من خمسين ولاية، والدول الأوروبية تتجه للوحدة، بدءًا من نظام السوق الأوروبية المشتركة إلى نطاق وحدة العملة الأوروبية "اليورو" في عام ١٩٩٩، حيث قبلته الآن إحدى عشر دولة، وينتظر انضمام حوالي أكثر من سبع دول أخرى إليه.

وأما المسلمون فيتجهون مع الأسف إلى تجسيد التفرقة، وسياسة التباعد، وتعميق الخلافات، وبدأ بصيص أمل مشرق

ومريح في مؤتمر القمة الإسلامي الذي انعقد في طهران في نوفمر (تشرين الثاني) عام ١٩٩٧، حيث تحقق الحد الأدنى من التضامن الإسلامي، في بداية طريق أو منهج الإسلام الوحدوي، المأمور به في قول الله تعالى :

﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا، ولا تفرقوا ...﴾.

وآل أمر الانقسام إلى ضعف المسلمين وتخلفهم، وتباينهم في المواقف، وتصادمهم في حل المشكلات المصيرية التي تهددهم جميعًا، كقضية فلسطين وغيرها، ووجود ظاهرة الحقد والكراهية، وضعف الثقة أو انعدامها، وخدمة مصالح المستعمرين، ولاسيما الدول الكبرى.

وليس هناك أمة مثل الأمة الإسلامية لديها من الروابط الوثيقة، كوحدة الدين والعقيدة، ووحدة المبادئ الخلقية، والعبادات. ففي كل يوم يشعر المؤمن بالوحدة الإسلامية إن أدى العبادات اليومية على وجهها، فالرب واحد، والقبلة واحدة، والشعائر واحدة ، بل إنه بعد سقوط الشيوعية عام ١٩٨٩، وتتابع تصريحات كبار المسؤولين الغربيين بأنه لم يبق أمامهم إلا الإسلام، يصبح من الضروري جعل مصير المسلمين واحدًا، أمام الخطر الواحد، والعاقبة الواحدة، ولكنهم لا يشعرون بهذا، ولا يلتفتون لمخاطر المخططات التي تدبر لهم في الخفاء.

كل هذا يدعو المسلمين أكثر من غيرهم، وبإلحاح شديد، إلى

ضرورة توحيد الصف والتجمع الواحد، أو الجماعة الإسلامية الواحدة، إن لم يعد ممكنًا وجود حكم واحد أو دولة واحدة أو إمامة واحدة، عملاً بالتوجيه القرآني الكريم : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

ولا يهم شكل التجمع الموحد، سواء أكان على النمط الأول في صدر الإسلام، أم على نمط جديد من اتحاد فيدرالي أو كونفدرالي أو غيره، لأن المهم تحقيق الجوهر والمضمون، لا الشكل والمظهر.

وإن المطالبة بتوحيد المسلمين وتحقيق جامعة إسلامية لايراد منه المساس بكراسي ومناصب الحكام القائمين، ولا بأشكال الحكم في البلاد الإسلامية أو العربية، فلكل بلد نظام حكمه، وإنما المراد تحقيق منهج التجمع الموحد أو الاتحاد المجمع في مظلة واحدة: هي أحكام الإسلام وشعائره، وعبادته وعقائده، ومقاصده وأهدافه، لإيجاد وجود إسلامي قوي ومتميز، له قراره المستقل وشخصيته المستقلة، النابعة من الحفاظ على المصالح الإسلامية الكبرى.

إن هذا التجمع الوحدوي بأي شكل من أشكاله القديمة أو الحديثة يتطلب أمورًا ثلاثة:

أولها: إحياء مفهوم الأخوة الإسلامية المتعالية عن الجنسية والعنصرية، وأن تتحد مشاعرنا في الإحساس بقوة ومتانة وأبعاد هذه الأخوة .

ثانيها: تحقيق الوحدة الثقافية واللغوية والاجتماعية التي تجمع المشاعر والأحاسيس، التي تلتقي وتصب في معين واحد، هو العمل بمبادئ القرآن أو الإسلام الصحيح، الذي يحقق إعزاز المسلمين وقهر الأعداء.

ثالثها: وحدة السلم والحرب والاقتصاد والدفاع، فالمسلمون مسالمون فيما بينهم، لا تقوم بينهم حرب مطلقاً، واقتصادهم واحد، سواء أفي الإنتاج والتوزيع، أم التصدير والاستيراد، وسوقهم الاقتصادية مشتركة، وعملتهم واحدة، ويعتمدون على مبدأ الاستقلال الاقتصادي، والاكتفاء الذاتي إلا في حدود الضرورات، من أجل علاج شيء مؤقت، والانتقال إلى ما هو أفضل. فإذا حدث نزاع، عولج بالصلح، وإذا نكب إقليم عاونه الآخرون، لأن المسلم يكون في حاجة أخيه المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه ولا يكذبه، ويتعاون معه، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

وأمامنا أمثلة كثيرة من اتحاد الولايات الواقع فعلاً، سواء أفي أمريكا، أم أوروبا، أم الاتحاد السوفياتي سابقاً.

وليكن مطمح كل مسلم وكل دولة إسلامية معاصرة هو: التوصل إلى وحدة الدولة الإسلامية، مهما تناءت الديار أو الولايات المحلية، أو إلى اتحاد يجمع المسلمين، وينأى بهم عن التفرق والتباعد، وإلى محو كل أشكال أو أسباب الفرقة الإقليمية

أو الجغرافيـة، أو العنصـرية أو المذهبيـة أو العرقيـة، فـإن هـذه الأمراض هي التي فرّقتنا في الماضي، والتي يجب تجاوزها وعلاجها في عصرنا، من أجل تحقيق الخير للجميع، وإبعاد الشر وشبح الخطر عن الجميع، فنحن في حالة من التردي، والتشتت، والضياع، والمذلة والهوان، مالا نغبط عليه، بل هو أدعى للسخرية والتهكم.

وإذا ظل المسلمون في القرن الحادي والعشرين القادم على هذا النحو من التباعد والتفرق، فإنهم سيتعرضون لمحن وويلات أشد، وستكون الخسارة والدمار أكثر مما نتصور، ولات ساعة مندم.

ومن الغريب حقًا أن أمة تنتمي إلى القرآن الكريم عقيدة ودستورًا وعبادة ونظامًا، تكون على هذا النحو من التشرذم والتفرق.

ولا ينتظر المسلمون من أعدائهم أنهم يقدمون لهم الخير على أطباق من ذهب، إن لم يتحركوا هم بأنفسهم نحو بناء عالم وحدوي جديد، له مفاهيم محددة، واستراتيجية موحدة، ومطالب محددة، رضي الآخرون والأعداء بها آنيًا أم غضبوا، فإنهم بعد بناء الوحدة الدولية الإسلامية القوية، سيخضع لهم الجميع، فالعيب إذن في تفرقنا، وبعدنا عن وحدة الدولة أو اتحاد الدولة. وإذا تنكرت بعض البلاد الإسلامية في مبدأ الأمر لمبدأ الوحدة أو الاتحاد بسبب العلمانية ونحوها، فإنها في النهاية ستخضع للمنهج

الوحدوي الصائب، وستقلع عن مبادئها وأنظمتها المتباعدة عن مظلة وحدة حاكمية القرآن، إذا أحسن تسويسها وكسبها بالمفاوضات والتفاهم والأساليب الدبلوماسية، من وساطة حميدة، أو تطويق سياسي.

إن دعوتنا إلى وحدة الدولة أو اتحاد الدول الإسلامية ليست ناشئة من فراغ، فتاريخنا استمرت فيه هذه الوحدة إلى عام ١٩٢٤، وكانت الدول الإسلامية المتعاقبة، على الرغم مما أصابها من أخطاء ومظالم وهنات (خصلات شر) وعورات ونكسات، تحقق الهدف الإسلامي الأساسي من وجود الدولة القوية المرهوبة الجانب، ويحترمها الأعداء على الدوام.

ونحن اليوم على الرغم من إدراكنا لهذه الحقيقة وغيرها من حقائق ومنافع الوحدة أو الاتحاد، ما زلنا في أسوأ حال، لا نحقق الحد الأدنى ولا الأوسط ولا الأقصى من الوجود الإسلامي السليم.

وإذا حكمنا على تاريخنا بالجنوح أحيانًا أو الرفض النسبي، فبماذا يحكم من يأتي بعدنا على وجودنا وأوضاعنا السياسية والثقافية والاقتصادية؟ إنه لاشك حكم بالرفض المطلق، وربما بالتبرؤ والتمرد على كل شيء نعايشه الآن.

التسامح المذهبي في الاندلس

• الحديث عن الإنتاج الثقافي الأندلسي يثير في النفس الأسى على ضياع الأندلس. وهذا الأسى ليس على أرض فُقدت، أو دولة أُزيلت، بل على فرصة عظيمة قد ضاعت، فرصة اللقاء بين الحضارتين الأوربية والإسلامية. لعلّ كثيراً من المآسي التي حلّت بالعالم خلال القرون الأخيرة ما كانت لتحدث لو أن التفاعل الحضاري في الأندلس قد تواصل. على أي حال نفتح هذه الصفحة من ثقافة المسلمين في الأندلس، على أمل أن ينفتح حوار جاد بين العالم الإسلامي وأوربا عبر اسبانيا التي ترث هذه الثقافة نظرياً

فتحت الأندلس في زمن الأمويين وتوالى عليها الولاة الأمويون، ثم حين سقطت الخلافة الأموية في الشام تواصل الحكم الأموي في الأندلس، بعد أن عبر إليها عبد الرحمن الداخل وأسس إمارة قرطبة، ثم أعلن أحفاده خلافة قرطبة.

في مثل هذا الجوّ الأموي لا ينفسح المجال عادة لغير التوجّه الأموي في المجتمع، وهو توجّه معروف بعدائه لأهل البيت وللتشيّع، لكننا نقف عند ظاهرة التشيع في الأندلس، لنرى أن السياسة الأموية ما استطاعت أن تقضي في هذا الصقع على

التعايش المذهبي بين المسلمين، وهي ظاهرة تستحق كل الاهتمام.

* * *

بداية لابدّ أن نذكر أن الحديث عن التشيّع في الأندلس لا يعني الحديث عن طائفة مقابل طائفة كما يوحي بذلك الانقسام الموجود في عالمنا الإسلامي اليوم، بل إنه كان يمثّل التيّار الذي يرفض التمييز العرقي والطبقي، ويثور على الحاكم الظالم، ويدعو إلى الكمال من عِلم وتقوى.

يرى شوقي ضيف «أن الأندلس كانت محصّنة ضد التشيّع ودعاته» مستدلاً بقول المقدسي في أواخر القرن الرابع الهجري: إن الأندلسيين إذا عثروا على متشيّع قتلوه [1].

ولا نرى ذلك، رغم ماكان يتعرّض له التشيّع من محاربة الحكام الأمويين، والمتشيّع من مطاردة في الأندلس، خاصة بعد قيام الدولة الفاطمية في مصر.

في اعتقادنا أن التشيّع دخل الأندلس منذ فتحها في القرن الأول، دليلنا على ذلك:

١- أن شمال أفريقيا انفتح على التشيّع بعد مقتل الحسين بن علي في واقعة كربلاء، ويظهر أن دعاة آل البيت توغّلوا في الشمال الأفريقي، ليستثمروا تلك الواقعة في تأليب الناس على البيت الأموي. [2]

---

١ -عصر الدول والإمارات - الأندلس ، ص ٥٤.

٢ -انظر: ادب التشيّع في الشمال الأفريقي، عبدالامير عبدالزهرة عناد.

ولذلك كانت هذه المنطقة مؤهّلة لقيام دولة الأدارسة ودولة الفاطميين، كما كانت تعيش فكرة انتظار المهدي.

ويظهر أن البربر – الذين لهم السهم الأوفى في فتح الأندلس – كانوا يتعاطفون – على الأقل – مع التشيّع، ويفهمون ما قدّمه التشيّع من تضحيات جسيمة في سبيل الدفاع عن قيم الإسلام، ومن أجل محاربة الظلم والتمييز الطبقي والعنصري، وخاصة في ثورة كربلاء، ولذلك يقول المقّري – كما ذكرنا في حديثنا عن إمارة قرطبة – إن الأمويين حين دخلوا الأندلس بعد سقوط خلافتهم في بغداد أخفوا نسبهم الأموي وسموا أنفسهم قرشيين «لما انحرف الناس عنهم، وذكروا أفعالهم في الحسين بن علي عليه السلام».

٢- وجود أبناء الصحابة الأوائل مع الفتح الإسلامي للأندلس ممن كانوا معروفين بالولاء للتيار العلوي، كأبناء عمار بن ياسر، وأبناء قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري. وكان بينهم من الثائرين على الحكم الأموي في الأندلس مثل الحسين بن يحيى بن سعد بن عبادة سنة ١٦٥هـ، وابنه سعيد بن الحسين[١]، وعبدالله بن سعد بن عمار بن ياسر سنة ١٤٣هـ .

٣- كثرة الثورات بقيادة الموالين لمدرسة آل البيت نذكر

---

١ -المُغرب في حُلَى المَغرب، أبو محمد الحجاري وعبدالملك بن سعيد وآخرون، ٥٠/١ .

منها[1]، ثورات أبناء الصحابة، وأولها ثورة عبدالله بن سعيد بن عمار بن ياسر، والثورة الثانية قام بها الحسين بن يحيى بن سعد بن عبادة الخزرجي فقد ثارة في سنة ١٦٥ بسرقسطة وخلع طاعة عبدالرحمن. إضافة إلى هذه الثورات العربية ثمة ثورات بربرية موالية لأهل البيت، وأول من قام بها شقيا بن عبدالواحد المكناسي، وكانت أخطر الثورات التي هددت عبدالرحمن الداخل وأطولها، إذ استمرت من ١٥١ إلى ١٦٠هـ . ومن الثورات الآخرى ثورة أحمد بن معاوية القط سنة ٢٨٨هـ وانتشرت بين القبائل البربرية في منطقة الجوف. وحركة أبي الخير في الأندلس كانت أخطر حركة فاطمية على الحكم الأموي بعد وفاة عبد الرحمن الناصر، فقد انتشرت في مناطق عديدة من بلاد الأندلس. تفاعل الأندلسيون مع الدعوة الفاطمية حتى أصبح البربر في منطقة الجوف مهداً للتشيع. وتذكر لنا كتب التاريخ أسماء كثيرة من الثائرين على الحكم الأموي في الأندلس تحت راية علوية، لكنّها كالعادة تُلصق بهم تُهَمُ الغلوّ والتطرف، ولابدّ من التعامل بحذر مع هذه التهم وسائر التهم التي تُلحق بالثائرين على السلطة الحاكمة في التاريخ.

٤- كثرة الأدباء الشيعة والأدب الشيعي، وخاصة ما يرتبط

---

١ - التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، محمود علي مكي، ص٧ - ١٥.

برثاء الحسين في الأندلس، واتسع ذلك في عصر دولة بني حمود الشيعية، ودولة الموحّدين الذين ينتسب حكامها إلى آل البيت، وسيأتي ذكر ذلك.

٥- ظهور التشيع بين العلماء الأندلسيين، خاصة من اتصل بعلماء المشرق. وكُتُب التراجم تحدثنا عن تواصل واسع بين علماء الأندلس وبغداد والكوفة وإصفهان وخراسان، وبين هؤلاء من حَمَلَ معه التشيّع إلى الأندلس، مثل محمد بن عيسى القرطبي المعروف بالأعشى، قصد العراق سنة ١٧٩ هـ ، والتقى هناك برجال الشيعة، وحمل معه ثقافتهم.

ومنهم قاضي الجماعة بقرطبة منذر بن سعيد البلوطي، وهو من بربر منطقة الجوف المتشيّعة، ومما أُثر عنه غضبه حين قرأ أرجوزة ابن عبد ربه التي يذكر فيها الخلفاء الراشدين ويجعل معاوية رابعهم، ولم يذكر عليًا، فكتب على حاشية الأرجوزة هذين البيتين[١].

أوما عليٌّ لا بَرِحْتَ ملعّنًا ... يا ابن الخبيثة عندكم بإمامِ؟

ربُّ الكساء وخيرُ آل محمد ... داني الولاءِ مقدَّمُ الإسلام

هذا إضافة إلى دخول الدعاة الشيعة إلى الأندلس خاصة بعد قيام الدولة الفاطمية ومنهم: إبراهيم بن محمد الشيباني المعروف

---

١ -التشيع في الأندلس ، ص ٢٣ - ٢٤.

بأبي اليسر الرياضي. ومنهم أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي، ومنهم الرحالة الجغرافي ابن حوقل محمد بن علي الموصلي النصيبي.

وجود التشيع في الأندلس لا يعني طبعًا أنه لم يكن مُحارَبًا، فالحرب عليه كانت مستعرة لأسباب ترتبط غالبًا بأهدافه السياسية والاجتماعية. ولذلك نرى أن شاعرًا كبيرًا مثل ابن هاني الأندلسي تضيق به الأندلس فيخرج منها. ونتيجة لهذه المحاربة ضاع أكثر الشعر الشيعي، وما وصلنا منه إلاّ القليل.

ثمة وثيقة على غاية من الأهمية، تبين بوضوح تعمّد الكتّاب والمؤرخين في إهمال الأدب الشيعي في الأندلس. يذكر المقّري أنه وقع بيده كتاب «درر السمط في خبر السبط» لأبي عبدالله بن حمد القضاعي المعروف بابن الأبار وهو كتاب أدبي يستعرض واقعة كربلاء ومقتل الحسين بن علي(ع) وأولاده وصحبه وأسر عياله، فيثني على الكتاب ويستنسخه في نفح الطيب، ولكن لم يورد كلّ مافيه، ويقول: «ولم أورد منه غير ماذكرته لأنّ في الباقي ما تُشمّ منه رائحةُ التشيّع، والله يسامحه بمنّه وكرمه»[1].

---

١ - نفح الطيب، ٤/ ٥٠٦.

الأخلاق أعظم ساحة للتقريب

القسم الثاني : ذنب أم مرض؟!

سيد هاشم الرسولي المحلاتي *

• الأخلاق هدف الإسلام الكبير: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وهو الساحة الكبيرة الهامة التي يحتاج إليها المسلمون أيّما احتياج، وهو الساحة التي تجمع المذاهب الإسلامية على صعيدها، وتوحّد بين قلوبهم وأعمالهم وتوجههم إلى مثلهم الأعلى المطلق الكبير، وهو الله سبحانه. وننشر سلسلة مقالات أخلاقية في مجال (الذنب) أي في مجال السقوط في مطبّات طريق الإنسان في الحياة، وسبل الخروج من هذا السقوط.

كنت أعدّ هذا القسم للطبع اذ طلع علينا كاتب في علم النفس يقول:

«أضحى من المؤكد علميًا وفلسفيًا اليوم عدم وجود إنسان طالح، بل الموجود هو الإنسان المريض».

«لا نبالغ لو قلنا أن البشرية لم تكتشف في تاريخها حقيقة ذات تأثير على سعادتها كهذه الحقيقة».

«ذلك لأن العيوب البشرية مثل الحسد والخوف واليأس

* - عالم دين إيراني.

والرياء والخجل والخداع ستكون أمراضًا شبيهة بالحمى والزكام، قابلة للعلاج أولاً، ولا يستحق صاحبها اللوم ثانيًا بل الشفقة».

ولقد سمعت من قبل طبيبًا جاء من أوروبا ليقول: «ان العلم الحديث اكتشف أن الذنوب ما هي إلا أمراض نفسية قابلة للعلاج».

حقًا أن هذه الحقيقة مهمة للغاية، وذات تأثير كبير على سعادة البشرية.. حقيقة أن الآثام أمراض نفسية قابلة للعلاج، لكن هذه الحقيقة ليست من مكتشفات العلم الحديث، بل إن الإسلام ركز عليها قبل أربعة عشر قرنًا.

القرآن الكريم يقول عن المنافقين المخادعين:

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضًا﴾.

كما يصف ذوي النفوس الضعيفة المنساقة وراء شهواتها: بأنهم مرضى:

﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾.

وهكذا يعتبر المذبذبين والمردّدين مرضى:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا ﴾.

وهكذا النصوص الدينية تصرّح بأن الذنوب والآثام أمراض في القلوب والنفوس.

يقول علي(ع): «لا وجع أوجع للقلوب من الذنب».

ويقول: «الذنوب الداء، والدواء الاستغفار، والشفاء أن لا تعود».

وحول الحسد يقول: «الحسد داء عياء لا يزول إلا بهلك الحاسد أو موت المحسود».

وبشأن الحقد يقول:

«الحقد داء دوي ومرض وبي»

وعن التكبر يقول: «الكبر داع إلى التقحم في الذنوب».

وفي موضع آخر يصف الشهوات بأنها أمراض قاتلة:

«الشهوات أغلال قاتلات، وأفضل دوائها اقتناء الصبر عنها».

علاج المرض

الكاتب المذكور يطرح آخر ابتكارات علم النفس في معالجة هذه الأمراض النفسية المتجلية بشكل ذنوب وآثام في الموجود البشري.

وملخص ذلك أن الطبيب النفساني يطرح على المريض أسئلة مبوبة منظمة تنظيمًا خاصًا بحيث تجر المريض إلى تسلسل الأفكار، وإلى الرجوع إلى أعماق نفسه، واستكشاف «العفاريت» التي تعبث به وتسيطر على إرادته، ثم تسليط الضوء على هذه العفاريت التي لا تقوى على العيش إلا في الظلمات، وبعد ذلك تخليص هذا المريض من هذه القوى الشريرة.

هذه الطريقة في العلاج لها - كما يذكر علماء النفس أنفسهم - نقائص عظيمة، وتكاد تكون غير مجدية بالمرة في بعض المواضع.

واهم نقائصها:

أولا – ليس بمقدور جميع أفراد المجتمع أن يراجعوا الأطباء النفسانيين، ويقضوا في عيادات الأطباء الساعات الطوال في مختبرات العلاج النفسي، فذلك يتطلب توفر إمكانيات علمية واسعة أولاً، ثم يتطلب نفقات باهظة لا يمكن لعامة الناس أن يدفعوها، كما أن أغلب المرضى النفسانيين لا يحسون بحاجة إلى علاج لأسباب عديدة.

ثانيًا – من المشاهد كثيرًا أن الأطباء النفسانيين لا يستطيعون التوغل إلى أعماق النفس المريضة ولا حل العقد النفسية للمريض. ويذكر الأطباء في مذكراتهم ومشاهداتهم العلمية أمثلة كثيرة لذلك.

يذكرون على سبيل المثال أن فتاة أوروبية ولدت في عائلة مشهورة تعتقد بشؤم العدد (١٣)، وكانت ولادتها يوم الثالث عشر من الشهر. وحينما كبرت الفتاة وعلمت بالحقيقة ساورها قلق شديد بشأن مستقبل حياتها. أخذتها العائلة إلى طبيب نفساني ليعالجها، فبذل الطبيب كل طاقاته العلمية لكنه لم يفلح في العلاج.

مضت الأيام وتزوجت الفتاة وأنجبت، وفي ذات يوم كانت مع زوجها وأطفالها في نزهة، فرآها طبيبها النفساني، فجاء إليها وقال لها: ألم أقل لك إن وساوسك لا قيمة لها؟! ها أنت تعيشين سعيدة مع زوجك وأطفالك. فانفجرت المرأة باكية وقالت: إن

العدد ١٣ سوف يؤثر على حياتي في المستقبل، ويجعلني شقية بائسة.

ثالثًا – إن هذا اللون من الأمراض يصيب الأطباء أنفسهم و:

إلى الماء يسعى من يغص بلقمة إلى أين يسعى من يغص بماء

ومن المشاهد أن المعلومات العلمية ليست قادرة على أن تصعد من إرادة الإنسان ولا أن تعالج نقاط ضعفه النفسية.

فهذا أبو علي بن سينا – وهو قمة علمية شامخة – ينهى عن الافراط في مقاربة النساء، وروي عنه قوله:

أقلل جماعك ما استطعتفانه ماء الحياة تصبّ في الأرحام

واجعل غذاءك كل يوم مرة واحذر طعامًا قبل هضم طعام

بينما يذكر المؤرخون أنه توفي العقد السادس من عمره لإفراطه في الجماع!!

وقيل فيه:

فلم يشف ما نابه بالشفاء ولم ينج من موته بالنجاة

وذكر أستاذ أنه حضر مؤتمرًا طبيًا حول أضرار المشروبات الكحولية، ألقى فيه أحد الأطباء بحثًا وافيًا عن هذا الموضوع، وشرح الأضرار الجسيمة الفظيعة للخمور، فأثر في الحاضرين جميعًا، يقول الأستاذ: أردت أن أقترب من الطبيب لأشكره على محاضرته القيمة في ذلك المؤتمر، فلم يتيسر لي ذلك، وفي أحد الأيام رأيته في أحد شوارع طهران، فسارعت إليه لأشد على يده وأشكره، فما إن اقتربت منه حتى شممت من فمه رائحة حادة تنبئ

عن إسرافه في تناول الخمرة.

ومثال ذلك كثير.

رابعًا ـ هناك من العقد النفسية ما لا يمكن للمعالجات الطبية أن تحلّها، خاصة إذا كانت ناشئة عن ذنب لا يمكن إزالة آثاره، كالقتل وهتك العرض.

فالإنسان الذي تلوثت يده بقتل شخص، اما أن يستهين بالعمل ويصبح قاتلا محترفًا خطرًا، أو يحس بالذنب فيتحول إلى إنسان معقد يحس بشبح المقتول يلاحقه أينما ذهب، وقد يؤدي به الأمر إلى الجنون.

العلاج الإسلامي

١ – الإسلام – كما ذكرنا في القسم الأول – يعالج الحالة المرضية قبل وقوعها، فيبعد الإنسان عن مواطن الجريمة ويحميه من الإصابة بهذه الأمراض النفسية، ويمنعه حتى من التفكير بالذنب .

٢ -يركز الإسلام على تثبيت القاعدة الإيمانية في النفوس، كي تكون أساسًا للاطمئنان والاستقرار، وهذا الإيمان بمقدوره ان يقضي على كل قلق واضطراب، يقول سبحانه: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.(الرعد/٢٩).

٣ -الإسلام يوجه الأفراد إلى نوع من مراجعة الذات كالتي

يتبعها الأطباء النفسانيون في معالجة مرضاهم.

ولعلّ حثّ الإسلام على التفكير ينطلق من هذا التوجيه. فقد ورد في الحديث: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

و«تفكر ساعة خير من عبادة سنة –أو سبعين سنة».

٤ -يفتح الإسلام باب التوبة والاستغفار على مصراعيه أمام الإنسان المذنب مهما عظم ذنبه، كي لا يتحول الذنب إلى عقدة تحول الفرد إلى مريض نفسيًا.

يقول سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ ﴾. (آل عمران/ ١٣٥).

ومر بنا عن أمير المؤمنين علي(ع) قوله: «الذنوب الداء، والدواء الاستغفار، والشفاء أن لا تعود».

وعن أبي جعفر الباقر(ع): «إذا زنى الزاني خرج منه روح الإيمان وإن استغفر عاد إليه».

ولقد عمّق الإسلام روح الرجاء في الإنسان حتى قال له على لسان علي(ع): «وارج الله رجاء أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك».

وبعبارة مليئة بالرحمة واللطف والعطف يخاطب الله عباده: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾. (الزمر/ ٥٣).

وروي أن محمد بن شهاب الزهري (من كبار محدثي أهل

السنة وممن نقل أحاديث عن الإمامين السجاد وابنه الباقر – عليهما السلام) قتل شخصًا بريئًا، فندم وأضطربت حاله وتصاعد القلق في نفسه، فهام على وجهه ولجأ إلى غار فسكن فيه، واعتزل الناس، وأطلق شعر رأسه ووجهه. سمع الإمام السجاد بخبر الزهري فجاء إليه وقال له: «أني أخاف عليك من قنوطك مالا أخاف عليك من ذنبك، فابعث بدية مسلمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك».

فنزلت هذه الكلمات على قلبه منزلة الديمة السمحاء على الأرض المجدبة، وعاد الزهري إلى وعيه وانشرحت نفسه وراح يردد: «فرّجت عني يا سيدي، والله أعلم حيث يجعل رسالته».

٥ -يعالج الإسلام الأمراض النفسية عن طريق التذكير المستمر بأخطار هذه الأمراض، وعن طريق استثمار الروح الإيمانية في الأفراد، مؤطّرًا بذلك مكافحته للأمراض النفسية بإطار إيماني. فبشأن الحسد:

روي عن رسول الله(ص): «أقل الناس لذة الحسود».

وعن أمير المؤمنين علي(ع): «الحسد يذيب الجسد».

وعن الصادق (ع): «ان الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب».

وسنتعرض بتفصيل أكثر في فصول قادمة لسبل معالجة الإسلام للأمراض النفسية.

موقف الإسلام من المذنبين

الإسلام يتجه إلى معالجة المذنبين، ويضع كل التعاليم اللازمة لهذه لمعالجة ومنع سراية هذا المرض إلى الآخرين. ومن أجل توفير الجو الاجتماعي اللازم للمعالجة يحذر الإسلام تحذيراً شديداً من تعيير المذنب ومن توبيخه.

عن علي بن الحسين(ع) قال: «كان آخر ما أوصى به الخضر موسى بن عمران(ع) أن قال له: لا تعيرنَّ أحداً بذنب».

وعن الإمام الصادق(ع): «إذا وقع بينك وبين أخيك هنة فلا تعيره بذنب».

وروي عن رسول الله(ص) قال: «إذا زنت خادم أحدكم فليجلدها الحد ولا يعيّرها».

وحذّر الإسلام من ردود الفعل الناتجة عن التوبيخ والتعيير. قال علي(ع): «الإفراط في الملامة يشب نيران اللجاج».

وعنه أيضا: «إياك أن تكرر العتب فان ذلك يغري بالذنب ويهوِّن بالعتب».

تحذير

إن عدم توبيخ المذنبين وتعييرهم لا يعني زوال سدود المناعة بين المذنب وأفراد المجتمع. فلابد من إيجاد الموانع التي تحول دون انتشار العدوى. والإسلام شدّد لذلك على خلق حواجز نفسية في وجود الإنسان المسلم كي لا تصيبه عدوى الأمراض النفسية والتلوث الخلقي من الآخرين.

قال أمير المؤمنين علي(ع): «لا ينبغي للمرء المسلم أن يؤاخي الفاجر، فانه يزين له فعله ويحب أن يكون مثله، ولا يعينه على أمر دنياه ولا أمر معاده، ومدخله ومخرجه من عنده شين عليه».

«.. وإياك ومصاحبة الفاسق فانه بايُعك بأكلَة وأقلّ من ذلك».

وعن علي (ع) قال: «لا تصحب الشرّير فإن طبعك يسرق من طبعه شرًا وأنت لا تعلم».

وعن الإمام محمد بن علي الجواد(ع): «إياك ومصاحبة الشرّير فانه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره».

ومن أجل خلق المناعة النفسية في ذات الإنسان المسلم من التلوث بأمراض المذنبين وجّه المسلمين إلى أمور، تخلق في المؤمنين حالة نفسية تشمئز من الذنب ومرتكبه.

عن الإمام الصادق، عن جده أمير المؤمنين(ع) قال: «أمرنا رسول الله(ص) أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة».

وعن الصادق (ع) أيضًا: «أدنى الإنكار أن يلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة».

وروي أن عيسى (ع) قال: «تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إلى الله بالتباعد عنهم، والتسموا رضا الله بسخطهم».

وعن رسول الله(ص): «المرء على دين خليله وقرينه».

وعن علي(ع): «إياك ومصاحبة الفساق فإن الشر بالشر ملحق».

العلم والإيمان

مرتضى مطهري*

• إن افتقد الإنسان المثل والإيمان يصبح موجوداً غارقًا في الذاتية • إن الإيمان الديني وحده هو القادر على خلق الإنسان «المؤمن» الواقعي • التصور الحسّي، يلد الذاتية لا العقائدية • الإيمان الديني يغير نظرة الإنسان إلى الكون والحياة • الإنسان المؤمن لا يفقد الأمل في نتيجة أعماله الصالحة • في الإيمان حلاوة لا تبلغها حلاوة • الإيمان الديني يخلق روح المقاومة في الإنسان، ويبدّل المرارة حلاوة • الشيخوخة ليست إيذانًا بنهاية وجود الإنسان في نظر الإنسان المؤمن • عصرنا الراهن يشهد زيادة الأمراض النفسية والعصبية بسبب هبوط مستوى الإيمان الديني

الإيمان الديني

لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة سليمة، ولا يقدر أن يقدّم للبشرية وللحضارة البشرية عملاً نافعًا مثمرًا مالم يحمل مثلاً وأهدافًا سامية وإيمانًا.

إن افتقد الإنسان المثل والإيمان يصبح موجودًا غارقًا في

* ـ مفكر وعالم إسلامي كبير.

الذاتية، لا يملك أن يخرج من قوقعة مصالحه الضيقة، أو يصبحُ هذا الإنسان موجودًا مردّدًا حائرًا لا يعرف مهمّته في الحياة، ولا يقدر أن يتّخذ موقفًا من المسائل الأخلاقية والاجتماعية.

الإنسان المؤمن الهادف، يتخذ موقفًا واضحًا محددًا من تلك المسائل، لكن الإنسان غير الهادف يبقى إزاءها مردّدًا حائرًا تتقاذفه الرياح من كل جانب، وليس في سلوكه تناسق أو توازن.

نعم، ضرورة الالتزام بمدرسة فكرية، مسألة لا ترديد فيها.. غير أن المسألة التي ينبغي أن نؤكّد عليها هي أن الإيمان الديني وحده هو القادر على خلق الإنسان «المؤمن» الواقعي.

الإيمان الديني، قادر على أن يصهر في بوتقته كلّ الذاتيات والأنانيات، وأن يُوجد في الإنسان نوعًا من «التعبد» و«التسليم»، بحيث لا يتردد الفرد في الالتزام بكل خطوط المبدأ صغيرها وكبيرها. كما يصبح المبدأ عند الإنسان عزيزًا حبيبًا يدافع عنه بغيرة وحمية، وتصبح الحياة لديه فارغة تافهة بدون المبدأ.

الإيمان الديني، يدفع بالإنسان إلى أن يبذل مساعي قد تتعارض مع ميوله الطبيعة. وقد يضحّي بوجوده وكيانه على طريق إيمانه، وهذا لا يتم إلا إذا اتخذ المبدأ طابعًا مقدسًا لدى الإنسان، وفرض سيادته المطلقة على وجوده. والقوة الدينية وحدها هي القادرة أن تُضفي على المبادئ طابع القدسية وتفرضها فرضًا تمامًا على الإنسان.

بعض المجموعات البشرية تثور أحيانًا بوجه الظلم والطغيان، وتُضحّي على طريق ثورتها بالمال والنفس لكنها لا تنطلق من المبدأ والعقيدة الدينية، بل من العُقد والأحقاد وروح الانتقام وهذا ما نشهده في بقاع متعددة من العالم.

وحين تطرح العقيدة الدينية على ساحة الثورة، تكتسب المبادئ صفة مقدسة، وتقدم التضحيات برضى تام وبشكل طبيعي.

والبون شاسع بين عمل يتمّ عن إيمان ورضى، أي نتيجة «انتخاب»، وبين عمل يتم تحت تأثير العقد والضغوط النفسية، أي نتيجة «انفجار».

ومن جهة أخرى، فإن الإنسان المادّي (أي الذي تقوم تصوّراته عن الكون والحياة على أساس مادّي، ويحصر الواقع في إطار المحسوسات) يجد تعارضًا بين كل اتجاه عقائدي هادف، وبين واقع علاقاته الحسية بالعالم.

التصور الحسّي، يلد الذاتية لا العقائدية، والعقائدية إن لم تنسجم مع «التصور» لا تعدو أن تكون وهمًا وخيالاً.

والإيمان الديني آصرة ودّية بين الإنسان والعالم، وتنسيق بين الإنسان والاتجاه العام للكون، أما الإيمان غير الديني فهو «انسلاخ» عن الكون، وبناء عالم خيالي لا يسنده العالم الخارجي.

الإيمان الديني لا يقتصر على فرض مجموعة من الواجبات على الإنسان على الرغم من ميوله الطبيعية، بل يغيّر مظهر

العالم في نظر الإنسان، ويضفي على تركيب العالم عناصر أخرى غير العناصر المحسوسة، ويبدل العالم الميكانيكي المادّي الجاف البارد، إلى عالم ذي وعي وروح وشعور.

الإيمان الديني يغير نظرة الإنسان إلى الكون والحياة.

«ويليم جيمس» الفيلسوف، وعالم النفس الأمريكي في مطلع القرن العشرين يقول: «الفكر الديني يقدّم لنا العالم المادّي بمظهر متغيّر، وليس هذا حسب، بل يدخل في تركيب ذلك العالم أشياء أخرى تزيد على التي يتحسّسها الإنسان المادي».

إضافة إلى كل ما سبق، النزوع نحو الحقائق المقدسة المستحقة للعبادة، قائم في طبيعة جميع أفراد البشر.

الإنسان مركز مجموعة من النزعات والقوى غير المادية القابلة للتربية والنمو. نزعات الإنسان، لا تنحصر بالاطار المادي، بل ثمة نزعات روحية معنوية لم تنشأ في الإنسان عن طريق اكتسابي أو تلقيني. وتلك حقيقة يؤيّدها العلم.

يقول ويليم جيمس: «مع أن الباعث أو المحرّك لرغباتنا ينطلق من هذا العالم، فإن نزعاتنا وآمالنا تنطلق من عالم ماوراء الطبيعة، إذ إنها لا تنسجم مع الحسابات الماديّة».

وجود هذه النزعات يفرض عملية تربيتها، وإن لم تتربّ بشكل صحيح، ولم تستثمر بشكل صحيح، تتخذ مسارًا منحرفًا، وتؤدي إلى أضرار فادحة كالذي نشهده في أوساط عبادة الأوثان، وعبادة

الفرد، وعبادة الطبيعة، ونظائرها من العبادات.

يقول أريك فروم: «لا أحد يستغني عن الدين، وعن الإطار الذي يحدد اتجاهه وموضوع ميوله. قد لا يطلق الفرد اسم الدين على معتقداته التي آمن بها من مصادر غير دينية. وقد يظن أنه بدون دين ، ويرى أن ارتباطه بغايات تبدو غير دينية كالقدرة والمال والنجاح هو علامة لانشداده بالمسائل العملية المصلحية.

القضية لا تدور حول تدين الإنسان أو عدم تدينه، بل حول نوع الدين الذي يؤمن به».

هذا العالم النفسي، يقصد أنّ الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون تقديس وعبادة، فإن لم يعبد الإله الواحد الأحد، يتجه نحو عبادة أشياء أخرى باعتبارها الحقيقة الأسمى، ويتّخذ منها موضوعًا لإيمانه.

أفرادُ البشر إذن ملزمون أن يكون لهم فكرة وهدف وإيمان. والإيمان الديني هو الإيمان الوحيد القادر أن يجعل الإنسان تحت نفوذه الحقيقي. والإنسان ـ من جهة أخرى ـ يبحث بطبيعته عن شيء يقدّسه ويعبده. من كل هذا نستنتج أن الطريق الوحيد ينحصر في تقوية الإيمان الديني.

القرآن الكريم يصرّح بأن الإيمان الديني ينسق بين الإنسان والكون:

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(آل عمران/ ٨٣).

ويؤكّد كتاب الله العزيز أن الإيمان الديني جزء من طبيعة الإنسان:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم/ ٣٠).

آثار الإيمان وفوائده

اتّضح مِمّا سبق إلى حدّما، آثار الإيمان الديني، ولابدّ من الحديث عنها بشكل مستقل كي تتجلّى أكثر فوائد هذه البنية الأساسية القيّمة للحياة.

الكاتب الروسي تولستوي يقول:

«الإيمان هو الشيء الذي يعيش مع الناس».

والحكيم ناصر خسرو العلوي يخاطب ولده ما ترجمته:

ولّيتُ وجهي عن الدنيا إلى الدين

إذ الحياة بدون الدين كالسجن

ولي في القلب مُلكٌ من عطاء الدين

يبقى خالدًا ــ ولدي ــ ولم يهن

للإيمان الديني آثار نفسية واجتماعية عديدة نوضّحها فيما يلي:

أولا: الآثار النفسية:

الإيمان الديني على الصعيد النفسي ذو آثار عظيمة منها:

١- **التفاؤل**، التفاؤل بالعالم والكون والوجود. الإيمان الديني يمنح الإنسان نظرة خاصة للكون والوجود، هذه النظرة تتلّخص في كون الطبيعة هادفة، تنشد الخير والسعادة والكمال.

ومن الطبيعي أن تُصبح نظرة الإنسان المؤمن المتدين متفائلة لنظام الوجود وقوانينه.

وضعُ الإنسان المؤمن في دنيا الوجود كوضع إنسان يؤمن بعدالة الأنظمة والقوانين الحاكمة في بلده، ويؤمن أيضًا بصلاحية المسؤولين في ذلك البلد، ويرى طبعًا أن فرص التطوّر والتقدّم متاحة للجميع، ويعتقد أن السبب الوحيد، الذي يمكن أن يؤدّي إلى تأخّره وتخلّفه، يعود إلى تقاعسه وسذاجته هو نفسه، وإلى تقاعس وسذاجة أمثاله من الأفراد.

هذا الفرد يلقي تبعة تخلّفه على نفسه، لا على أنظمة البلد وقوانينه. وإن رأى نقصًا ينحي باللائمة على نفسه وعلى أمثاله الذين لم ينهضوا بمسؤوليتهم.

وهذا اللون من التفكير يستنهض همّة هذا الفرد، ويدفعه إلى الحركة بأمل وتفاؤل.

أما الإنسان غير المؤمن فهو يعيش في هذا العالم كمعيشة إنسان يعتقد بظلم وفساد القوانين والأنظمة الحاكمة في بلده، ويرى نفسه مضطرًا إلى الخضوع لها. مثل هذه الفرد يحسّ دومًا أنه مملوء بالعقد والأحقاد، ولا يفكّر على الإطلاق في إصلاح

نفسه، إذ لا يرى جدوى في ذلك، فهو يرى نفسه قطرة في بحر يموج بالظلم والجور.

هذا الإنسان لا يحسّ بلذّة في هذا العالم، لأن العالم في نظره سجن رهيب، والقرآن الكريم يقول عنه:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه/ ١٣٤).

الإيمان هو الذي يُزيل ضَنَكَ العيش ويوسّع آفاق نظرتنا إلى الحياة.

٢- **التفتح**: الإنسان المؤمن، يرى العالم مشرقًا بنور ربّه، فيشرق النور في روحه وأعماقه، وتتفتح نفسه للحقيقة خلافًا للفرد الخالي من الإيمان، فإنه يرى العالم فارغًا تافهًا مظلمًا فاقدًا لكل إدراك وإحساس، وهو لذلك يعيش في انغلاق وظلام نفسي.

٣- **الأمل**: الإنسان المؤمن لا يفقد الأمل في نتيجة أعماله الصالحة. الفرد المادّي يعتبر الكون محايدًا تجاه الأفراد الصالحين والظالمين، ويرى العالم لا يفرّق بين السائرين على طريق العدل والاستقامة، والسائرين على طريق الظلم والانحراف. ونتيجة العمل ترتبط في المنطق المادي بمقدار المساعي المبذولة لا غير.

لكن الإنسان المؤمن لا يعتقد أن العالم محايد إزاء الفريقين. بل يرى أن جهاز الخليقة يقف إلى جانب السائرين على طريق

الخير والحق والعدالة:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ (محمد/ ٧).

﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة/ ١٢٠) .

٤- **الطمأنينة**: الإنسان ينشد سعادته فطريًا فإن اتسمت أمامه السعادة يطير فرحًا، وإن ارتسم أمامه مستقبل مشؤوم مقرون بالحرمان ترتعد فرائصه ويسوده قلق واضطراب.

ثمة عاملان يبعثان على سعادة الإنسان:

أ -**السعي والمثابرة.**

ب -**الاطمئنان بظروف البيئة.**

نجاح الطالب مثلاً يعتمد على شيئين: سعيه وجهوده، وظروف المدرسة وما يكتنفها من تشجيع المسؤولين واهتمامهم.

وإن فقد الطالب الساعي المجد ثقته بالمدرسة التي يدرس فيها، وبمعلّمه الذي سيقرر مصير الطالب في نهاية السنة الدراسية، وبالمعاملة التي يلقاها من مسؤولي المدرسة، فسيغمر وجود هذاالطالب قلق واضطراب طوال أيام السنة.

الإنسان بصير بنفسه، ولا يعتريه قلق من هذه الناحية، لأن القلق يتأتى من الشك والترديد، والفرد لا يشك ولا يتردّد فيما يرتبط بنفسه.

تصرّفات العالمَ هي التي تبثع على قلق الإنسان واضطرابه، لأن الفرد لا يعرف موقف العالم منه.

هل في العمل الصالح والاستقامة على طريق الحق جدوى؟

هل يثمر السعي والجهد والنهوض بالمسؤوليات؟

مثل هذه الأسئلة تطرح نفسها على الإنسان فتثير فيه اضطرابًا وقلقًا عميقين.

الإنسان والعالم هما، في منظار الإيمان الديني، طرفا معاملة.

وهذه النظرة تبعث في الإنسان الثقة والاطمئنان بالعالم، وتزيل القلق والاضطراب الناشئين عن جهل الإنسان بموقف العالم منه، وتبدّلها أمنًا وطمأنينة.

٥ -**التمتع باللذات المعنوية:** للإنسان نوعان من اللذات.

الأول: لذّات يتمتع بها الإنسان عن طريق اتصال حاسة من حواسه بالعالم الخارجي، كتمتعه بالعين عن طريق النظر، وبالأذن عن طريق السمع، وبالفم عن طريق الذوق، وباللامسة عن طريق الاتصال.

الثاني: لذّات ترتبط بروح الإنسان وبأعماق وجدانه، ولا علاقة لها بعضو خاص ولا تأتي عن طريق الاتصال بعالم مادّي خارجي. كاللذة التي يحسّها الإنسان من الخدمة والإحسان، أو من المحبوبية والاحترام، أو من نجاحه أو نجاح ولده، وهي لذّات لا ترتبط بعضو خاص وغير خاضعة لعامل مادي خارجي مباشر.

اللذات المعنوية أقوى من اللذات المادية وأرسخ منها. ولذة العبادة والاتصال بالله هي من هذا النوع من اللذات للإنسان العارف المؤمن.

العبّاد العارفون الذين يقرنون عبادتهم بالخضوع والاستغراق وحضور القلب ينالون من العبادة أعظم اللذات. وقد عُبّر عن هذا اللذة في النصوص الدينية بطعم الإيمان وحلاوة الإيمان.

في الإيمان حلاوة لا تبلغها حلاوة. واللذات الروحية ـ مثل لذّة طلب العلم، والإحسان، والخدمة، والنجاح ـ تزداد وتتضاعف حين تنطلق من إحساس ديني وتستهدف رضا الله تعالى، وتتخذ صفة «العبادة».

٦- **روح المقاومة:** حياة البشر تشتمل ـ إضافة إلى الأفراح والمسرّات والانتصارات ـ على أتعاب وآلام وفشل ومصائب.

كثير من مظاهر المرارة في الحياة يمكن درؤه، وإن تطلب هذا الدرء مزيداً من المساعي والأتعاب.

الإنسان مكلّف طبعًا أن يواجه مرارة الطبيعة ويبدلها حلاوة، لكن بعض هذه المرارات لا يمكن مواجهتها وإزالتها مثل الشيخوخة. فالفرد يسير نحو الشيخوخة شاء أم أبى، ويتضاءل بالتدريج نور عمره، وترتسم مظاهر الهرم على صفحة حياته. كما أنّ التفكير بالموت ومغادرة الحياة، وترك كل شيء للآخرين يؤلم الإنسان بشكل آخر.

الإيمان الديني يخلق روح المقاومة في الإنسان، ويبدّل المرارة حلاوة.

الإنسان المؤمن، يعلم أن كل أمر في العالم له حساب معيّن، وأن الله سبحانه يجبر بشكل معين كل كسر يواجهه الإنسان، إن

كان موقف ذلك الإنسان من انكساره صحيحًا.

والشيخوخة ليست إيذانًا بنهاية وجود الإنسان في نظر الإنسان المؤمن، كما أن الفرد المؤمن يملأ فراغه بالعبادة ويأنس بذكر الله. ومن هنا فمرحلة الشيخوخة لدى الفرد المؤمن لذيذة ومحبوبة وقد تزداد لذتها لدى العابدين على لذة الشباب.

والإنسان المؤمن، ينظر إلى الموت بشكل يختلف عن نظرة الإنسان غير المؤمن. فالمؤمن لا يرى الموت إبادة وفناء، بل انتقالاً من حياة فانية زائلة إلى حياة خالدة باقية، ومن عالم صغير إلى عالم أكبر. المؤمن يرى الموت انتقالا من حياة العمل والزرع، إلى حياة النتيجة واقتطاف الثمار.

من هنا يعمل هذا الفرد على إزالة قلقه من الموت بالسير على طريق مثمر بناء، أو على طريق «العمل الصالح» على حدّ التعبير القرآني.

علماء النفس يجمعون على أن أكثر الأمراض النفسية الناشئة من الآلام الروحية ومصائب الحياة تتفشّى بين غير المتدينين.

المتدينون مصونون من الإصابة بهذه الأمراض بمقدار يتناسب مع قوة إيمانهم.

عصرنا الراهن يشهد زيادة الأمراض النفسية والعصبية بسبب هبوط مستوى الإيمان الديني.

أخلاق ابن المقفع

حسين علي جمعة *

• ابن المقفع مثل للوفاء والإخلاص والتضحية بالنفس والمال من أجل صديقه • كان مثار إعجاب كثير من القدماء والمحدثين • ابن المقفع ليس مجرد جامع أو مصنف لآثار الفرس وغيرهم؛ ولكنه أخذ نفسه فيما يراه من الواقع السياسي والاجتماعي والفكري • ابن المقفع وجد نفسه أنه يقف بين حضارتين ولا يملك إلا قلمه وعقله فتوجه إلى ثقافته القديمة لينهل من معينها ما يفيد واقعه

لقد شب ابن المقفع وفؤاده يستفزه إلى كل معرفة؛ وروحه تسمو إلى كل خلق؛ ويتطلع إلى المستقبل بتفاؤل وثبات ... لا يوهن من عزيمته حسد حاسد؛ ولا كيد والٍ؛ ولا اضطغان كبير أو صغير. ولهذا كله يقول:«من حاول الأمور احتاج فيها إلى ستٍ: العلم والتوفيق، والفرصة، والأعوان، والأدب، والاجتهاد».

وقال:«لا تجد العاقل يحدّث من يخاف تكذيبه؛ ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يَعِد بما لا يجد إنجازه، ولا يرجو ما يعنَّف

* - استاذ جامعي سوري، ورئيس اتحاد الكتاب والادباء العرب بدمشق.

برجائه، ولا يقدُم على من يخاف العجز عنه».

فالعاقل هو المؤمن الحقيقي بالخُلُق، ومن كان له خُلُق فهو ذو مروءة. ويؤكده جواب الرسول(ص) لرجل من مجاشع على سؤاله: ألست أفضل قومي؟ «فقال: إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان لك خُلُق فلك مروءة... وإن كان لك تقى فلك دين».

فأي رجل إن لم يكن متدينًا، فليكن حرًا ذا مروءة، وهذا ما نراه في مقولة لابن المقفع في بعض شروط الصديق:«إذا نظرت في حال من ترتئيه لإخائك فليكن حرًا ليس بجاهل ولا كذاب ولا شرير». لهذا كان يذم الحريص الغافل، والحسود المبغض؛ ويكرههما كراهة تدل على عقل واعٍ؛ وتدين قويم لقوله: «الحرص والحسد بكْر الذنوب؛ وأصل المهالك. فأما الحسد فأهلك إبليس؛ وأما الحرص فأخرج آدم من الجنة».

فهو يفضل الصديق بأن يكون متدينًا حرًا شريفًا، وهذا أنبل ما يراه، وإن لم يكن متدينًا،فليكن حرًا شريفًا؛ أما إذا كان متدينًا وفقد صفات المروءة فلا حاجة للإنسان به.. وإن فُرض على المؤمن الشريف أن يخالط بعض المستهترين أحيانًا – كما حدث له، وكما يحدث لنا في أيامنا هذه ـ فليتمسك بخلقه وعقله من دون الإساءة لهم.

فابن المقفع مثل للوفاء والإخلاص والتضحية بالنفس والمال

من أجل صديقه؛ وقصته مع عبد الحميد الكاتب – مثلا – تؤكد ذلك. فقد روي أن عبد الحميد طُلب من بني العباس، فاستخفى فعُثر عليه عند «ابن المقفع. وكان صديقاً له. ففاجأهما الطلب، وهما في بيت، فقال الذين دخلوا عليهما: أيكما عبد الحميد؟ فقال كل واحد منهما: أنا، خوفًا من أن ينال صاحبه مكروه؛ وخاف عبد الحميد من أن يسرعوا إلى ابن المقفع؛ فقال: ترفقوا بنا؛ فإن كلاً منا له علامات... ففعلوا؛ وأُخذ عبد الحميد».

إنه قدَّم روحه في سبيل صديقه، آواه إليه؛ ودفع نفسه للتهمة قربانًا له... ومن كانت هذه صفته فإن حاله أهون عنده ليبذله في سبيل المحتاجين إليه... أصدقاء وغير ذلك.

وروى ابن قتيبة أن ابن المقفع كان له جار ركبه دَيْن، فرغب في بيع داره لسداد دينه، فقال: «ما قمت إذًا بحرمة ظل داره إن باعها مُعْدمًا، وبت واجدًا، فحمل إليه ثمن الدار وقال: لا تَبع».

وذكر الجهشياري قصّة أخرى له مع عمارة بن حمزة؛ ثم قال فيه : «وكان سريًا سخيًا، يطعم الطعام؛ ويتسع على كل من احتاج إليه. وكان قد أفاد من الكتابة لداود بن عمر مالاً؛ فكان يجري على جماعة من وجوه أهل البصرة والكوفة ما بين الخمس مئة إلى الألفين في كل شهر».

فالرجل يتعهد ذوي الحاجات، ويواسيهم بماله، ونفسه؛ مما يدل على سماحة خلقه؛ وهو القائل :«أهل العقل والكرم يبتغون

إلى كل معروف وُصْلة وسبيلاً». فالعقل يزيد العاقل بصرًا، ويزيد الخفافيش سوء بصر... بل إن اجتماع عقل ابن المقفع مع خلق رفيع؛ ورهافة حس، يشي – دون شك – بأن حذره لم يكن تقيَّة أو نفاقًا؛ كما ادعاه عليه بعض الباحثين؛ وهو القائل: «الكريم يمنح الرجل مودته عن لُقْية واحدةٍ أو معرفة يوم؛ واللئيم لا يصل أحدًا إلا عن رغبة أو رهبة» ؛ و «لا يتم حسن الكلام إلا بحسن العمل؛ كالمريض الذي قد علم دواء نفسه؛ فإذا هو لم يتداوَ به لم يُغْنِه علمه» فشدة حذره من السلطان ناتج عن حلم سديد، وتجربة واعية بشؤون السياسة؛ فهو الذي كابد فتن الولاة، ورأى أحداثًا عظيمة تجري بين ظهرانيه.

ولو أعاد المرء النظر في كتاب الأمان لاستيقن بما طبع عليه من فضائل؛ فهو صادق مخلص؛ محض مودته وإخاءه لذوي نعمته؛ فكان وفيًا شريفًا ولم يخذلهم حين احتاجوا إليه. لهذا وضع كل حذقه في الكتابة؛ وبلاغته بمعرفة العربية وأساليبها؛ ودل على فهم عميق بنفس أبي جعفر المنصور؛ لأنه استشعر منه البطش والغدر بعبد الله بن علي؛ فأحكم كل منفذ عليه؛ وهو يعلم أنه يضع دمه بين حروف كلماته... وهو الذي قدّم نفسه – من قبلُ – قربانًا لصديقه عبد الحميد الكاتب.

ودل في هذا الكتاب وغيره على أنه بليغ فصيح وكاتب مبدع، يضع كلامه في الموضع الدقيق له؛ وعالم فطن لأبعاد ما يرمي

إليه كلامه، ... حتى صار مضرب المثل ببلاغته كما نجد في شعر لأبي تمام يذكره مع غيره من البلغاء؛ في مدحه للحسن بن وهب:

فكأن قِسًّا في عكاظ يخطب وكـــأن ليلى الأخيلية تندب

وكُثَيِّر عزة يوم بَيْنٍ ينسُب وابن المقفع في اليتيمة يُسهبُ

وشهد له الأصمعي اللغوي المعروف (ت ٢١٦هـ) بفصاحته فقال:«قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحنًا إلا قوله: «العلم أكثر من أن يحاط بالكل منه فاحفظوا البعض» ، وكان الصواب أن يقول:(كله) و (بعضه) بغير (أل) ... كما سعى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) إلى مجالسته، ولما سئل عن نتيجة مجالسته له:«كيف رأيت صاحبك؟ فقال: ماشئت من علم وأدب إلا أن عقله وعلمه أكثر» . وقد حرفت رواية الخبر نتيجة النسخ أو رواية الرواة فكان الجواب: «ما رأيت مثله، وعلمه أكثر من عقله»، وقد صدق كل منهما في وصف الآخر، ووقع بذكائه على أهم ما يتصف به.

ومن ثم قال ابن سلام:«سمعت مشايخنا يقولون: لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع، ولا كان من العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع» .

وكذلك كان مثار إعجاب كثير من القدماء والمحدثين؛ استشهدوا بآرائه وأثنوا على أخلاقه وذكائه وعفته وقناعته في

المأكل والملبس والمشرب، وكرمه الفياض، فكان «جواداً فارساً جميلاً» كما قال الجاحظ. وقال محمد كرد علي فيه :

كان «رجل نجدة وأنفة وكرم أخلاق ومروءة ووفاء وحسن عشرة. وكان ربّ جد وعمل، لا يستند في أموره (إلى) الخيال، وجل اعتماده على عقله وتجاربه وتجارب من سلف من حكماء الأمم. كان محافظاً على شعائره، لا يحرم على نفسه الطيبات المحللة؛ فليس فيه جمود الفقهاء، ولا استهتار الأدباء، فَهِم من الدين ما فهمه كل عاقل».

ولهذا كله نعجب للجاحظ كيف اتهمه بالجهل بعد أن أثنى عليه، فقال: «وإذا أردت أن تعتبر ذلك إن كنت من خُلَّص المتكلمين ومن النظارين فاعتبر ذلك بأن تنظر في آخر رسالته الهاشمية فإنك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم... وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم، فيظن بنفسه عند ذلك أنه لا يحمل عقله على شيء إلا بَعُد فيه» . ثم استجهله معتزليٌّ آخر هو أبو بكر الأصم، فقال:«ولقد رأيت ابن المقفع هذا في غزارة علمه وكثرة روايته كما قال الله تعالى :﴿كمثل الحمار يحمل أسفارًا﴾(الجمعة ٥/٦٢) قد أوهن علمه وأذهله حلمه، وأعمته حكمته وحيَّرته بصيرته». ولعل هذا الحكم يحدونا -من جديد - إلى تذكر مجالسة الخليل لابن المقفع؛ إذا قال الأول في الثاني:«علمه أكثر من عقله» بينما قال الثاني في

الأول:«عقله أكثر من علمه» ، وشتان بين الحكمين.

وبذلك كله يتضح لنا أمران اثنان في الانتقاص من عبد الله بن المقفع وهما :

١- كان ابن المقفع يجهل علم الكلام الذي يتقنه المعتزلة، وإن أقروا له بغزارة العلم وجيد المعارف، وكثرة الرواية... ولكنه في هذا العلم ليس حجة. ثم اتهم بالجهل وقلة تدبر أمره فقال البغدادي :«وجهل ابن المقفع أداه إلى أن كتب أمانًا... فقتله».

٢- غلب على علمه ومؤلفاته منهج الجمع والتصنيف؛ فليس له من الفضل إلا أنه نقل ما لدى القدماء من الفرس والهنود وربما غيرهم... ولهذا ظهر علمه أكثر من عقله، فلو كان يملك - في رأيهم - العقل الراجح لسخر علمه في إنقاذ نفسه.

وفي ضوء ذلك نقول: على المرء أن يسعى وليس عليه إدراك المنى؛ وإذا نقصت معارفه من علم الكلام؛ فهذا ليس بضائره، ولا يقوَّم به حدّ المعرفة؛ في زمانه؛ فضلاً عن أن الإنسان لا يمكنه أن يبلغ الكمال وإن نشده طوال حياته... فالكمال لله وحده، والإنسان مركب على النقص؛ ومن ادعى أنه قد علم فقد جهل. وهو القائل: «العلم أكبر من أن يحاط بالكل فخذوا البعض»... إذا أهملنا صغر سن ابن المقفع، وأن الجاحظ نفسه قدَّمه في «بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السِّيَر... وعدَّه من المعلمين ثم من البلغاء المؤدبين».

وأخيرًا نرجح بأن ابن المقفع ليس مجرد جامع أو مصنف لآثار

الفرس وغيرهم؛ ولكنه أخذ نفسه فيما يراه من الواقع السياسي والاجتماعي والفكري. وهو لم يكن قد أسلم بأن يرجع إلى التاريخ... فيفيد منه... ويحاور أهله ويستمع إليهم في ضروب من الأخلاق ولطائف الأمور... فترجم بعض تلك الآثار وما نُقل إليها من الهندية على السواء، مما هو مكتوب باللغة الفارسية؛ وطبع ذلك بطابعه الشخصي وثقافته العربية، وساقه من أجل هدف إصلاحي ليس غير.

وما الذي يضير هذا الشاب وهو في مقتبل العمر أن يعمد إلى مايعرفه من ثقافات؛ ويجعلها مركز اهتمامه، وهو ما يزال لا يعرف غيْرها؟! إنه ينهل منها آراءً سياسية واجتماعية وفكرية؛ ويستشف أنظمة وقوانين يراها مفيدة لأبناء عصره؛ شأنه شأن المبدعين والمفكرين المخلصين هذه الأيام... فابن المقفع وجد نفسه أنه يقف بين حضارتين ولا يملك إلا قلمه وعقله فتوجه إلى ثقافته القديمة لينهل من معينها ما يفيد واقعه، ولكنه كان مبدعًا حين مزج بين ما هو قديم وما هو جديد؛ فقدّم لنا المثال الحيوي على المزج الحضاري مبكرًا. ثم تراه من بعد إسلامه وإتقانه للغة العربية يضع مؤلفات تدل على إبداع من نوع جديد؛ كما هو عليه رسالة الصحابة... والأدب الكبير والأدب الصغير... ثم لا يحيد في منهجه عن منهج عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى ولي العهد. وبذلك كله نرى أنه إذا كانت كل صناعته تحتاج إلى ذكاء فإن الكتابة تحتاج إلى ذكائين :(جمع المعاني والحروف بالقلم).

من رجال التقريب

الخطوط العامة للمنهج الوحدوي عند العلامة شرف الدين

(في كتابه الفصول المهمة)

• يؤكد شرف الدين على أن النهضة الإسلامية، وتنمية العالم الإسلامي لا يتم إلا من خلال الوحدة وبدونها تعود الأمة أذل الأمم • يهتز المرحوم شرف الدين عندما يواجه كلامًا غريبًا مجافيًا للحق وكاشفًا عن العناد • ابتعد عن لغة التجريح والنقد اللاذع • يتحدث عن إنصاف السنة للشيعة وبشاراتهم لهم تأكيداً على عرى المحبة وبعثًا للثقة المتبادلة • أشار في موضع آخر إلى الشيعة يتبرأون من السبّ وأردف ذلك بتأكيده على أنه حتى لو كان فإنه لا يؤدي إلى الكفر • هناك الكثير من الفرق المغالية تنتسب إلى التشيع كالاغاخانية والكيسانية والناووسية والخطابية والفطحية والواقفية، فربما وجدت أقوال من هؤلاء ثم نسبت إلى الإمامية .

لقد كان المرحوم آية الله شرف الدين رجل العلم والحوار والعمل والتحرق لأمته وعقيدته. نذر حياته للجهاد العلمي والعملي، ولاقى الأمرين في سبيل ذلك، الا أن الله تعالى جزاه خيرًا في هذه الدار بأن جعله منار العارفين السالكين إلى الله، ومعلّم الدعاة أساليب الدعوة الحقة. ورائداً من رواد الوحدة الإسلامية العظام.

وقد اتسعت أبعاد شخصيته لمختلف الجوانب، وقد اخترنا منها – بحكم توجّه «ثقافة التقريب» -سعيه لتحقيق الوحدة الإسلامية: وهي خاصية هذه الأمة، وبدونها لاتستطيع أن تعلن نفسها أمة جامعة لكل الخصائص التي وصفها بها القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وجهود المرحوم العلامة في هذا السبيل متنوعة أيضا مما جعلنا نركز على كتابه القيم «الفصول المهمة في تأليف الامة» بالخصوص، واكتشاف الخطوط العريضة التي سلكها لنستهدي بذلك في مسعانا ومقصدنا.

وباستعراضنا لهذا الكتاب والمنهج المتبع فيه تبدو لنا الخطوط التالية:

اولاً: التركيز على أهمية الوحدة الإسلامية في التصور الإسلامي، ومدى اقتضاء الظروف لها، والآثار السلبية للتمزق والتناحر.

ثانيًا: السعي لتعيين الخط الرئيس الفاصل للإيمان عن الكفر، والنجاة عن الضياع.

ثالثًا: إشاعة الثقة والتآلف بين جماهير المسلمين.

رابعًا: كشف العناصر الممزقة باعتبارها العقبة الكؤود في سبيل تحقق هذه الخاصية القرآنية للأمة.

وفيما يلي نستعرض هذه الخطوط بشيء من التفصيل.

الخط الاول: أهمية الوحدة وأخطار التمزق

وهو يؤكد على أن النهضة الإسلامية، وتنمية العالم الإسلامي وتقدمه حتى في المجال المدني، وخلاصه من نير العبودية، وإقامة نظام العدالة لايتم إلا من خلال الوحدة.

وبدونها تعود الأمة أذل الأمم دارًا وأجدبها قرارًا، نزهةً للطامع، وهدفًا للسهام، وقبسة العجلان، وحلقة ضيق، وعرصة موت، وحومة بلاء، لاتأوي إلى جناح دعوة، ولاتعتصم بظل منعة.

وفي الفصل الاول: يذكر نبذة ممّا جاء في الكتاب العزيز والسنة الشريفة من الترغيب في الوحدة والتآلف وتحقيق الأخوة الإسلامية والولاية المشتركة والرحمة المتبادلة والاعتصام بحبل الله والبعد عن التخلّق بأخلاق الأمم المتفرقة الغارقة في العذاب الأليم.

ومما تؤكده النصوص الشريفة:

- الايمان رهن بالتحابّ
- الحب للأخ المسلم ما يحب لنفسه
- ذمة المسلمين واحدة
- لزوم نفي كل ما يؤدي للتباعد
- لزوم تعميم الالتزام بحقوق المسلم
- ضرورة التواصل بشتى الأساليب

ـ التآلف من صفات المؤمنين

ـ أولياء الله هم المتحابون وهم جيران الله في داره

الى غير ذلك مما لامزيد عليه.

الخط الثاني: تعيين الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، والنجاة والهلاك وقد ركز عليه في فصول:

الفصل الثاني: حيث أكد إجماع أهل السنة والشيعة على أن الاسلام، والإيمان عبارة عن: الشهادتين، والتصديق بالبعث، والصلوات الخمس إلى القبلة، وحج البيت، وصيام رمضان، والزكاة والخمس المفروضين. وأيد ذلك بروايات من صحيح البخاري وصحيح مسلم ومصادر الشيعة.

والفصل الثالث: حيث ذكر نبذة من الصحاح الدالة على أن من تشهد الشهادتين حقن ماله وعرضه ودمه، وذلك من صحيح البخاري وصحيح مسلم ومنها الحديث:

إن رجلا قام فقال: يا رسول الله: اتق الله. فقال(ص): ويلك ألست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟ فقال خالد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال(ص): لا، لعله أن يكون يصلي.

والفصل الخامس: حيث ركز فيه على نجاة أهل التوحيد ذاكرًا نصوصًا من الصحاح تؤكد ذلك، وحاول الإجابة على أشكال تعذيب الموحدين العاصين بأنهم يعذبون دون خلود في النار، وأشار إلى أحاديث كثيرة في هذا الباب من الفريقين بل إن بعض

الأحاديث تكتفي بالموت عالمًا بالتوحيد لدخول الجنة.

والفصل السادس: ركز فيه على فتاوى كثير من العلماء على نجاة من نطق بالشهادتين ومنهم: شيخ الإسلام تقي الدين السبكي، وابن العربي، والفاضل الرشيد، والعارف الشعراني، وابن تيمية، وابن حزم وغيرهم بما يحقق الإجماع، وبهذا يوضح المعيار تمامًا.

ملاحظة هامة: يشير المؤلف إلى أن الشيعة يضيفون عنصر الولاء لأهل البيت(ع) بمقتضى النصوص الكثيرة لديهم (ص٥٤) و(ص٢٣) ولكن عدم الولاء لايخرج الإنسان من دائرة الايمان إلا إذا كان بمنطق العناد، فإن العناد لله ورسوله هو معيار التكفير. (ص٦٨) أما من لم تقنعه الأدلة بالولاء على المستوى الذي يفهمه الشيعة فإنه باق في دائرة الإيمان وله نفس الحقوق التي قال بها الإسلام للمسلم. وهذا الرأي هو الرأي السائد لدى العلماء ، وما تثبته النصوص عن أهل البيت(ع) بلاريب. اما على مستوى الحب والاحترام فهو من أوضح الواضحات بحيث لاينكره إلا معاند.

لذا يهتز المرحوم شرف الدين عندما يواجه كلامًا غريبًا مجافيًا للحق وكاشفًا عن العناد من أمثال قول ابن خلدون[1] حيث ذكر في مقدمته المشهورة أنه «وشذ أهل البيت في مذاهب

---

١ - ونحن ندخله في زمرة المؤلفين وليس من علماء الدين الذين يعتد برأيهم كما ذكر ذلك بعض العلماء.

ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح».

وهو يعلق عليه بقوله:

«ولا غرو أن قام المسلم عند سماع هذه الكلمة وقعد، بل لاعجب إن مات أسفاً على الإسلام وأهله. إذ بلغ الامر هذه الغاية» (ص٢٥٥).

* * *

الخط الثالث: اعادة الثقة المتبادلة والتآلف بين السنة والشيعة وينتظم في محاور:

المحور الاول: الابتعاد عن لغة التجريح والنقد اللاذع، والاحترام للرأي الآخر بشكل لافت للنظر.

فهو إذا ذكر أهل السنة ذكرهم بلفظ «إخواننا» (ص:٢٣) وإذا نقل حديثًا عن البخاري قال ـ مثلا ـ «قلت: اعظم بهذا الحديث» (ص: ٣٥)، وإذا ذكر الصحابة ترضّى عنهم وأجلهم، واذا ذكر أمّ المؤمنين عائشة قال عنها: «إنها أنقى جيبًا، وأطهر ثوبًا وأعلى نفسًا، وأغلى غرضًا وأمنع صونًا، وأرفع جنابًا، وأعز حذرًا، وأسمى مقامًا من أن يجوز عليها غير النزاهة أو يمكن في حقها إلا العفة والصيانة» (ص٢١٠) وغير ذلك من الشواهد.

المحور الثاني: السنة والشيعة والمعايير المذكورة

بعد أن تحدث عن معايير الايمان والنجاة راح يطبقها على

السنة والشيعة في فصل كامل هو الفصل الرابع الذي عنونه بـ«السنة كالشيعة يجمعهم الإسلام» ويجعل ذلك في «غاية الوضوح في مذهبنا» (ص٤١) ناقلا الروايات عن الإمام الصادق(ع) والإمام الباقر(ع) حيث في الصحيح عنه قوله: «والإسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة من الناس من الفرق كلها، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النكاح، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك عن الكفر وأضيفوا إلى الإيمان».

المحور الثالث: بشارات السنة للشيعة

ويزيد في هذا المحور فيتحدث عن إنصاف السنة للشيعة وبشاراتهم لهم تأكيداً على عرى المحبة وبعثًا للثقة المتبادلة، حيث ينقل بعض الروايات التي أوردها بعض الحفاظ من أهل السنة وهي تؤكد على علي(ع) وشيعته واصفةً إياهم بالراضين والمرضيين والغر المحجلين والشهداء، ويعلق في نهاية الفصل بقوله:

«فعسى أن يعرف الشيعي بعد هذا أن اهل السنة قد أنصفوا واعترفوا، وعسى أن يعرف السني أن لا وجه بعد هذه المبشرات لشيء من الضغائن أو الهناة. والسلام على من اتبع السنن وجانب الفتن ورحمة الله وبركاته» (ص٨١).

المحور الرابع: فتح باب التأول يمنع الكثير من الأحكام الجارحة

وهذا باب مهم يركز عليه كثيرًا ليفسر الكثير من المبهمات

في أذهان الطرفين على أساس أن تلك التصرفات إنما تعبر عن اجتهادات أو تصورات قد تكون صحيحة أو خاطئة، ولكنها لاتفتح باب الاتهام بالانحراف والكفر والفسق. وهو يؤكد أن فتح هذا الباب يهدف إلى إعذار المتأولين (ص٨٥) ويذكر أمثلة متنوعة تشمل مايلي:

ـ سعد بن عبادة ويعد من أفضل المسلمين رغم أنه تأول وتخلّف عن بيعة الخليفتين أبي بكر وعمر وخرج مغاضبًا إلى الشام.

ـ حباب بن المنذر الانصاري البدري الأحدي، وقد تخلّف عن البيعة.

ـ كثير من الصحابة أيضا تأولوا وتخلّفوا عنها.

ـ خالد بن الوليد حينما قتل مالك بن نويرة وطالب عمر بمجازاته. فقال عنه الخليفة أبوبكر: تأول فأخطأ.

وعلق المرحوم شرف الدين هنا قائلا:

«وليت شعري متى كان التأول في الفروع نكرًا، أم كيف لايكون عند الله عذرًا؟ وقد تأول السلف كثيرًا من ظواهر الادلة» (ص ٩٥).

ثم ذكر بعض الأمثلة كطلاق الثلاث، ومتعة الحج، ومتعة النساء، وأذان الصبح، وإسقاط «حي على خير العمل»، وصلاة التراويح، وإسقاط سهم المؤلفة قلوبهم، وآية الخمس، وحديث الغدير، وغير ذلك. وقد أطال في هذا الموضوع وربما نسي أصل ما دعاه لطرحه ودخل في مناقشات تاريخية وعقائدية ابعدته عن

أصل مشروعه وكأنه أراد أن يقول إن بعض هذه التأولات مما لايصح ولايسمح به المنطق والشرع، وكأنه لاحظ ذلك وأكد أنه لو أراد أن يفيض في الامر ويستوفي حق الموضوع لخرج عن خطة الكتاب(ص١٦٨). وعاد ليؤكد على معذرة المتأولين، ونجاتهم يوم الدين وليتابع التمثيل بما جرى أيام الخليفة الثالث عثمان من تأولات كثيرة منه ومن مخالفيه أيضًا، ومع ذلك بقي الجميع على العدالة، وهكذا ما جرى من البعض أيام خلافة الإمام علي(ع)، ويستمر مفيضًا في كثير من المخالفات التي حملت على التأول خصوصًا في عهد معاوية. وكأني به يريد أن يقول في النهاية . وإن لم يصرح بذلك في هذا الفصل لكنه أشار إليه في مواضع أخرى (ص٢٠٨ مثلا) . إننا يجب أن نتعامل مع الآخرين من المسلمين بنفس المنطق ونعذرهم اذا ما قاموا بأي عمل نراه واضح الخطأ. فلعلّهم تأولوا واجتهدوا وأخطأوا وبالتالي نبقي باب الرحمة مفتوحًا على مصراعيه، ولاندخل في عمليات تكفير وتفسيق وتبديع. وربما أراد أن يقول هنا إن السب الذي يبدو من البعض القليل من المسلمين رغم أنه مرفوض لكنه لايؤدي إلى الكفر الصريح، والى فتاوى تستبيح الدماء والأعراض والأموال.

وقد أشار في موضع آخر إلى الموضوع مذكرًا أن الشيعة يتبرأون من ذلك (أي السب) (ص٢١٢) وأردف ذلك بتأكيده على أنه حتى لو كان فإنه لايؤدي إلى الكفر، مؤكدًا ذلك بالدليل

القاطع من العقل والنقل وأقوال الفقهاء الكثيرين في هذه المسألة.

المحور الخامس: توضيح الأمر ودفع الشبه المثارة لدى كل طرف ضد الآخر.

ومن الشبه المثارة التي ردها بالتفصيل:

١- ما ذكرناه من مسألة السب.

٢- مسألة المتعة (ص٩٩)؛ وقد أفاض في بيان أصل مشروعيتها إجماعًا في بدء أمرها، ثم جاء الاختلاف في دوام حلها واستمرار إباحتها، وناقش دعوى النسخ وأكد أن التحريم جاء في عهد الخليفة الثاني عمر، وأن بعض الصحابة كعبد الله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن مسعود وغيرهم لم يقبلوا ذلك.

٣- مسألة الموقف من السيدة عائشة والصحابة؛ فأكد احترام الشيعة للسيدة عائشة أم المؤمنين وإيمانهم بطهارتها، وإن اختلفوا معها في بعض تصرفاتها كخروجها على ولي الأمر الشرعي. وكذلك الأمر بالنسبة للصحابة الكرام مع المناقشة وعدم قبول بعض تصرفاتهم وذكر الأمر بالتفصيل في (ص٢٦٣).

وأكد أن (الكاملية) . وهي فرقة مغالية ـ تتحامل على الصحابة، أما الإمامية فهم من جهة يقتدون ـ حتى في تشيعهم ـ بكبار الصحابة، وذكر منهم الكثيرين ورتبهم حسب الحروف الأبجدية، ومن جهة أخرى فهم يتولون الآخرين الذين اختاروا مسيرًا معينًا لمصلحة رأوها، واختلفوا مع آخرين لأنهم لم يرتضوا

ما صدر عنهم. ونقل هنا من الصحاح بعض الروايات التي تذكر أن البعض منهم أحدثوا بعد رسول الله(ص).

٤- بعض الأقوال المغالية؛ وقد رد عليها بأن هناك الكثير من الفرق المغالية تنتسب إلى التشيع كالاغاخانية والكيسانية والناووسية والخطابية والفطحية والواقفية، فربما وجدت أقوال من هؤلاء ثم نسبت إلى الإمامية(ص٢٢٥).

٥- بعض المنقولات التاريخية عن الشيعة وهم منها براء من قبيل:

- تجويز نكاح تسع نسوة!
- تحريم الكرنب!
- تحريم لحوم الإبل!
- عدم إيجاب العدة على النساء.

وغير ذلك، فينبغي ألا ننسب إلى مذهب أقوالا إلا إذا استقيت من الكتب الأصيلة له.

* * *

الخط الرابع: التركيز على العناصر الممزقة ومناقشتها

ويتجلى ذلك في قيامه بالبحث عن أسباب الفرقة والتباعد بهدف تشخيص الداء لوصف الدواء الناجع كما يعبر (ص٢٤٩) ويراها كما يلي:

أ - الامور التي ينفر منها الشيعي وأهمها أمران:

الاول: ما يسمعه من تكفير وتحقير وتزوير.

الثاني: إعراض الإخوة ـ كما يعبر ـ من أهل السنة عن مذهب أهل البيت وعدم الاحتجاج بحديثهم رغم الاحتجاج بدعاة الخوارج والمرجئة والمشبهة والقدرية، وذكر هنا عدم رواية البخاري عن أئمة أهل البيت(ع)، وعبارة ابن خلدون المار ذكرها.

وهنا دعا جميع المسلمين أن يدخلوا مدينة العلم النبوي من بابها بعد أن أسفر الصبح عن توثق الروابط بين الطائفتين والحمد لله رب العالمين(ص٢٦١).

أما ما ينفر السنة من الشيعة فقد أشار إلى أنه ذكر بعضها في ثنايا الكتاب واكد على عدم صحتها.

ب ـ وركز على فتاوى التكفير الصادرة من البعض كالشيخ نوح الحنفي وغيره وناقش الأدلة التي سيقت تبريرًا لها دليلا دليلا، واعترض على خصوص تعبير الشيخ الحنفي عن الشيعة بأنهم كفرة بغاة فجرة، وأن من توقف في كفرهم وإلحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم!! وحكم بوجوب قتلهم تابوا أو لم يتوبوا واسترقاق نسائهم وذراريهم(ص١٩٦).

والحقيقة هي أن كل منصف عاقل يستسخف هذه الفتاوى. وأطنب السيد في مناقشة حججه وأدلته.

ج ـ ثم تحدث عن دور الكذابين المفرقين من بعض الكتّاب حيث نسبوا للشيعة أمورًا كثيرة يبرأون منها. وذلك إما إرضاء

للسلطات الحاكمة (ص٢٢٣) على مر التاريخ، أو إبعادًا للأمة عن سماع أقوالهم وتنفيرها منهم، أو لالتباس الأمر على هؤلاء الكتاب لرؤيتهم أقوالا لغلاة ينتسبون للشيعة فنسبوها للتشيع، والتشيع الإمامي نفسه يتبرأ من الغلاة ـ وهذا ما أشرنا اليه سابقًا ـ .

وختامًا نقول:

إننا حاولنا أن ننقل بأمانة ما ذكره العلامة شرف الدين، وربما جمعنا أطراف بعض الأفكار لبيان تجلي هذه الخطوط في هذا الكتاب القيم، ولم نتعرض لأفكاره في كتبه القيّمة الأخرى لأن ذلك يتطلب جهدًا أكبر ووقتًا أوسع لم نكن نمتلكه.

والأمر الذي لاغبار عليه أنه (رحمه الله) كان يتشوق من جهة إلى وحدة هذه الأمة، وانفتاح بعضها على البعض الآخر، كما كان من جهة أخرى ملتزمًا بمذهبه تمام الالتزام منافحًا مدافعًا مثبتًا له بقوة.

ونحن إذ ندعو للوحدة الإسلامية لانرمي إلى أن يتنازل أي فرد أو مذهب عن آرائه التي توصل اليها بقناعة واستدلال، لمجرد إرضاء الطرف الآخر. نعم يمكن تأجيل بعض الخلافات النظرية أو عدم التركيز على بعضها الآخر، لأنها قد لاتترك كبير أثر على الواقع القائم. وهذا ما أشار اليه في جوابه على الاتهام الموجه للشيعة بأنهم يرفضون خلافة الشيخين فقال بأنه لايمكن إنكار واقع تاريخي «ولاينكر استخلاف الشيخين (رضي الله عنهما) ذو

شعور، ولايرتاب فيه ذو وجدان، وقد امتدت إمارتهما من سنة ١١ إلى سنة٢٣ وفتحت بها الفتوحات، وضرب الدين بجرانه. على أن خلافتهما من الشؤون السياسية التي خرجت بانقضائها وتصرمها عن محل الابتلاء، فأي وجه لتنافر المسلمين اليوم بسببها وأي ثمرة عملية تترتب فعلا على الاعتقاد بها. فهلموا يا قومنا للنظر في سياستنا الحاضرة... وأي وجه لتكفير المسلمين بإنكار سياسة خالية وخلافة ماضية؟ وقد أجمع أهل القبلة على أنها ليست من أصول الدين، وتصافقوا على أنها ليست مما بني الإسلام عليه» (ص٢٠٧).

وهي دعوة طرحها الإمام البروجردي (قدس سره) وبعض العلماء الآخرين كالمرحوم شمس الدين في ميثاقه الوحدوي.

وعلى أي حال فباب البحث الأكاديمي العلمي مفتوح في المجال العقائدي وكذلك في مجال التقويم التاريخي شريطة اتباع منهج الحوار القرآني. ولكن هذا لايعني أن ننقل هذا إلى نزاع عملي نهينا عنه بشدة، وأن يتحامل بعضنا على البعض الآخر وأن نمزق صفنا الواحد، خصوصًا بعد أن تجمّع علينا الأعداء من كل جانب، ووحّدوا خططهم. رغم اختلافاتهم فيما بينهم - ولنعتبر بقوله تعالى: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾

إلى عرفات الله

أحمد شوقي

إلى عرفات الله يا خيرَ زائر ... عليك سلام الله في عرفات

لك الدين يا ربَّ الحجيج، جمعتهم ... لبيت طهور السّاح والعرصات

أرى الناس أصنافًا، ومن كل بقعة ... إليك انتهوا من غربة وشتات

تساووا، فلا الأنساب فيها تفاوت ... لديك، ولا الأقدارُ مختلفات

وركب كإقبال الزمان، محجّل ... كريم الحواشي، كابر الخطوات

يسير بأرض أخرجت خير أمّة ... وتحت سماء الوحي والسورات

يفيض عليها اليمن في غدواته ... ويضفي عليها الأمن في الروحات

إذا زرت – يا مولاي – قبر محمد ... وقبّلت مثوى الأعظم العطرات

وفاضت مع الدمع العيون مهابة ... لأحمد بين الستر والحجرات

وأشرق نور تحت كل ثنيّة ... وضاع أريج تحت كل حصاة

لمظهر دين الله فوق تنوفة ... وباني صروح المجد فوق فلاة

فقل لرسول الله: يا خير مرسل ... أبثك ما تدري من الحسرات

شعوبك في شرق البلاد وغربها ... كأصحاب كهف في عميق سبات

بأيمانهم نوران: ذكر، وسنة ... فما بالهم في حالك الظلمات

وذلك ماضي مجدهم وفخارهم ... فما ضرّهم لو يعلمون الآتي؟

وهذا زمان؛ أرضه ، وسماؤه ... مجال لمقدام كبير حياة

مشى فيه قوم في السماء، وأنشأوا ... بوارج في الابراج ممتنعات

فقل: رب وفّق للعظائم أمتي ... وزين لها الأفعال والعزمات

من اخبار التقريب

الملتقى الوطني الثاني لعلماء السنة والشيعة

اجماع العلماء على وحدة العراق ووحدة العراقيين

انعقد في النجف الاشرف صباح الإثنين العاشر من تشرين الثاني الملتقى الوطني الثاني لعلماء السنة والشيعة في العراق تحت شعار (الوحدة الإسلامية هي سبيل العز والنصر) بحضور أكثر من ألف شخصية من علماء العراق والدول الإسلامية والمجاورة.

ونقف عند بعض تفاصيل هذاالملتقى أكثر من وقوفنا عند غيره من أخبار التقريب للأسباب التالية:

---

* - من وكالة أنباء التقريب الدولية.

١ – إن النظام العراقي البائد بعد انتصار الإسلام في إيران كُلّف بمهمّة شنّ حرب ضد إيران باسم القضاء على الفرس المجوس !! وهو اسم يحمل كل معاني الطائفية والعنصرية. ورافق الحرب شحن طائفي وعنصري شمل العراق وكل من وقف إلى جانب النظام العراقي في حربه الظالمة. ومن المؤكد أن آثار هذا الشحن لا تزول بين ليلة وضحاها. وما نراه من صراع طائفي في العراق يعود في بعضه إلى ذلك الشحن البغيض.

٢ -إن الصراع الطائفي في العراق استثمره المحتلون، فراحوا يصبّون الزيت على النار بأشكال مختلفة، ليبرّروا بقاءهم الثقيل في أرض الرافدين.

٣ -الصراع الطائفي في العراق تزامن مع شعارات تحريضية ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكأنها هي العامل على الاثارات الطائفية!! وهو امتداد لخطة النظام البائد في عدوانه على إيران تحت لواء الطائفية والعنصرية.

٤ -هناك عناصر تحركت في خضمّ هذا الصراع الطائفي لتثير في العالم الإسلامي ضجة ضد الشيعة وايران، وكثير من التصريحات التي ظهرت هنا وهناك ضد الشيعة وضد إيران كان وراءها هذه العناصر المحرضّة ذات الاهداف المعروفة.

من هنا فإن ملتقى علماء السنة والشيعة في النجف الاشرف يشكل ظاهرة ظاهرة هامة تقف بقدر إمكانياتها أمام أخطر تآمر على وحدة الصف الإسلامي وعزة الإسلام والمسلمين.

وهذا تقرير موجز عن الملتقى:

* * *

مقاطع من كلمات سماحة اية الله العظمى الامام السيد السيستاني (دام ظله) لدى استقباله وفدًا يمثل علماء السنة والشيعة من المشاركين في الملتقى :

- أتمنى لكم التوفيق في هذا اللقاء وأدعوكم إلى الوحدة، والمفيد أن تلتقوا وتتوحدوا.

- أنا أفتخر أن أكون خادمًا لجميع العراقيين.

- أنا سعيد بما أسمع من خطاب وحدوي لدى علماء السنة، ويعزّ عليّ أن أسمع أحيانًا بعض الكلمات المثيرة للفرقة.

- الاختلاف في الفكر والاجتهاد لا يجوز أن يكون سببًا للتفرقة بل اختلاف أمتي رحمة.

- نرحب بمجيئكم للنجف واجتماعكم هذا، وندعوكم لأن تكونوا متحدين، وما وقع من اختلافات كان مؤلمًا لقلبي.

- أكدّت مرارًا أن ثروات العراق هي ملك للجميع وكنت أتابع هذه المادة في القانون.

- أنا أجزم أن إرادة التفرقة جاءت من الخارج.

- عليكم التركيز على بيان المشتركات،ولا داعي للتعرض إلى المسائل الخلافية.

- بعد التعرض لمرقد الإمامين العسكريين (ع) دعوت الشيعة كلهم إلى الهدوء وعدم الرد وقلت إن ما حدث لم يقم به أهل السنة.

- لو راجعتم كلامي خلال جميع لقاءاتي فإني باستمرار أدعو للوحدة ولم أتكلم بكلمة واحدة مخالفة لهذا التوجه.

- العراق كان منذ القديم مصدر انتشار الإسلام، والعراقيون يتعايشون مع بعضهم دون تفرقة ، فأنا أعجب من وجود دعاوى للتفرقة بين أبناء هذا الشعب.

- درست عند الشيخ أحمد الراوي . وهو من علماء السنة في سامراء . ولم يكن يخطر ببالي أنه على غير مذهبي.

- كنّا نراجع بعض الأطباء وهم من أهل السنة ولاجل أنّا من طلبة العلوم الدينية لم يكونوا يأخذوا منّا أجورًا ولم يفكروا أننا من السنة أو الشيعة وهذا هو نموذج التعايش الوحدوي في العراق.

- لا يجوز أن نساهم حتى بشطر كلمة من شأنها أن تؤدي إلى التفرقة.

- أنا أتعجب كيف لا يقبل بعضنا من بعض حينما يُعلن أنه يشهد الشهادتين وبينما نقبل كلام أعدائنا وقد أعلنوا أنهم يشنون علينا حربًا صليبيّة.

- لم يسبق لعلماء الدين سابقاً ولا الآن أن تكلموا بكلام يؤدي إلى الفرقة والحمد لله.

- ندعو للتعايش السلمي بين جميع الشعوب خاصة بين العرب، فلسانهم واحد وموارد الاشتراك لديهم كثيرة، فديننا واحد وكعبتنا واحدة ونبينا واحد.

– لا يجوز أن تصدر منا حتى شطر كلمة تثير الفرقة . ويجب الابتعاد عن الخطاب المتشنج.

– قلت لبعضهم إذا كان لديك فكرة فعليك أن تعبّر عنها بالمنطق اللين وليس بالخشن.

واذا خُيّرتَ بين الليّن وما هو أليَن فاختر ماهو ألين للتعبير عن قصدك.

– العلماء مدار الوحدة وقطبها والمسلمون بهم يهتدون فالمرجو منكم أن تظهروا للناس وحدتكم.

– نعم، في كل طائفة يوجد متطرفون لكن الخطر هو أن يوجد الصراع بين أصحاب الفكر والثقافة.

حول الاتفاقية الأمنية، قال سماحته:

– الأمر لم يُحسم بَعدْ، ولم يصل الطرفان الى صياغة متفق عليها ، ونحن ننتظر ما يصلون إليه.

وعلى تقدير صدور أي موقف يخدش بالسيادة فإننا سوف نتدخل ونقول كلمتنا.

– المهم لدينا في الاتفاقية حفظ السيادة الكاملة، والابتعاد عن الغموض والإجمال والإطلاق القابل للتأويلات المتعددة، والأمر موكول إلى الاخوة المتصدين لهذا الشأن ونحن نراقبهم وأنا اتابع مسوّدات الاتفاقية العديدة في كل ساعة.

والامر يجب ان يمشي حسب الآليات القانونية.

سمعتم من يطالب ببقاء القوات الاجنبية في العراق بحجة الخوف من الاقتتال الداخلي وهذا أمر خطير، فلماذا نختلف ونتقاتل؟

* * *

كلمة امام جمعة النجف الاشرف

السيد صدر الدين القبانجي:

اكد سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد صدر الدين القبانجي إمام جمعة النجف الاشرف أن العراق اليوم يقف على عتبة إنهاء الاحتلال، وقال: نحن ماضون قدمًا في طريق تحقيق الاستقلال الكامل للعراق بإذن الله تعالى.

وبعد أن رحب سماحته بالوفود الحاضرة شدد على أن الهدف من عقد هذا الملتقى والحضور والمشاركة فيه هو لاعطاء رسالة الى العالم هي: أن العراقيين متحدون وقال: نحن بهذا الملتقى نريد أن نطمئن شعبنا بصحة مساره ووحدة كلمته وقوة إرادته وعظمة تاريخه وحضارته.

وقال: ننتظر من العالمين العربي والاسلامي أن يقوموا بمراجعة جديدة في قراءة التجربة العراقية، وندعوهم انطلاقا من هذا الملتقى ومن هذه الارض المباركة ومدينة علم باب النبي(ص)، ندعوهم للاصطفاف مع العراق في معركته ضد التطرف والإرهاب والطائفية، ومن أجل ان ينال سيادته الكاملة.

وأكد سماحة السيد القبانجي أن العراق سيبقى إسلاميًا وسيبقى عربيًا، وشدد على ضرورة أن تعود العلاقات طيبة بينه وبين جميع الشعوب العربية والإسلامية.

هذا ودعا سماحة امام جمعة النجف الاشرف ابناء الشعب العراقي الى الابتعاد عن كل ما يثير فتنة، وقال: علينا مراجعة كل الكلمات كي لا تثار حفيظة الطرف الآخر، ونحن ماضون على الطريق وكما أراده إسلامنا وكما أراده شعبنا.

* * *

سماحة آية الله العظمى الشيخ بشير النجفي:

ألقى سماحة الشيخ علي نجل آية الله العظمى المرجع الديني سماحة الشيخ بشير النجفي (دام ظله) كلمة المرجعية الدينية العليا في الملتقى الثاني لعلماء السنة والشيعة في العراق والتي شكر فيها الله تعالى نعمة الإسلام الحنيف وقال :وعدنا الله تعالى بالمزيد من الخير، والازدياد من هذه النعمة يتحقق بالثبات على المبادئ.

وأضاف حيث أن من مصاديق هذا الثبات في اعمالنا وسلوكنا وجميع حركاتنا هو التمسك بالأخوة مؤكدًا أن التمسك بالأخوة الإيمانية مظهر من مظاهر الشكر لله تعالى، وأن رسول الله (ص) أول مؤسس لهذه الخطوة التي جمعت شتات المسلمين ، مشددًا بالقول نحن في العراق أحوج ما نكون لهذه الأخوة الإيمانية.

وأشار في الصعيد ذاته الى أن حبل التقارب كاد أن يقضي على هذه التفرقة لولا السنين العجاف التي مرت بالعراق، حيث النظام السابق أسس لهذه الطائفية، وبعد سقوطه اندفع أعداء العراق من هنا وهناك لتأجيجها وأكد قائلاً : إن قوة العراق وسلامته وإزدهاره مرهون باجتماعنا والتئام قلوبنا، ورفض الطائفية والعنصرية.

* * *

السيد صالح الحيدري رئيس الوقف الشيعي :

أكد سماحة السيد صالح الحيدري رئيس ديوان الوقف الشيعي في كلمته في الملتقى الوطني الثاني لعلماء السنة والشيعة في العراق قائلاً : إن كل الذي نحتاج اليه هو إيصال هذا الصوت الى الجميع داخل العراق وخارجه، معتبرا إياه الأمل الذي يراود الكثيرين، مشددًا أن هذا الدين سوف لاتقوم له قائمة إلا من خلال الوحدة الإسلامية ، مضيفًا : أن تعدد المذاهب الإسلامية طريق لإغناء الفكر الإسلامي وتطوره.

* * *

رئيس ديوان الوقف السني د. أحمد عبد الغفور السامرائي:

أشار رئيس ديوان الوقف السني سماحة الشيخ د.أحمد عبد الغفور السامرائي إلى إن الشارع العراقي عندما ينظر إلى العلماء والمشايخ وهم مجتمعون يؤثر ذلك فيهم، مبديًا فرحه وسروره

بهذا اللقاء بحضوره المتماسك والمتداخل عندما تعرضه وسائل الأعلام.

الى ذلك سجل فضيلته عّدة رسائل هي: للشعب العراقي:

حيث قال نرحب بكل عراقي تجرد من الحقد وتخلّص من الطائفية وتحرر من الأهواء فأصبح عنصرًا فعالاً للمبادرة في المصالحة الوطنية وذلك يتحقق من خلال تآلف القلوب، مستنكرًا الأفكار الضيقة والمتحجّرة والنعرات الطائفية والانقسامات الحزبية والصراعات الداخلية والانقسامات والعشائريات والتحريضات الإعلامية، وأضاف نستنكر العمليات الإرهابية من أي وعاء خرجت ونشّد على أيدي أبناء الشعب العراقي ليضربوا أروع الأمثلة في التلاحم.

وأكد الشيخ السامرائي أن الذين يختلفون في القضايا الفرعية هم أصحاب العقول الضعيفة، وأن العلماء يرون الاختلاف في الامور الفرعية حبًا وعلمًا ومعرفة، مشيرًا في حديثه الى العراقيين أن انفتاح علماء الشيعة على السنة وعلماء السنة على الشيعة جاء لقطع الطريق على المجرمين الذين يؤججون الفتنة الطائفة، وعلى الذين يحرضون في وسائل الاعلام على النزاعات وقال :من النجف نضرب للعالم أروع الأمثلة في الوحدة، وسنعلّم الناس بوحدتنا ونؤمن الخائف ونتلوا كتاب محبة

ونصمت أذن الإرهاب الذي لم يسمع لنا، فشعبنا بكل أطيافه يدٌ واحدة.

* * *

ممثل اتحاد علماء الإسلام في العراق إمام الحضرة القادرية الشيخ محمود العيساوي:

أكد إمام وخطيب الحضرة القادرية الشيخ محمود العيساوي أن الناس يتطلعون الى هذا اللقاء والاجتماع في هذا المركز الديني للعلماء والمفكرين والأدباء والشعراء وقال: في الوقت الذي يمر العراق بمرحلة عصيبة وظروف صعبة لابد ان يقول العلماء كلمتهم في خضم هذه الأحداث مؤكدا أن هذا الجمع المبارك للعلماء السنة والشيعة عربًا وأكرادًا يمثل العراق بكل أطيافه، وأضاف: إن اجتماع علماء وخطباء المحافظات العراقية في جوار أمير المؤمنين(ع) بقلوب مفعمة بالأمل والاخلاص هو اتخاذ موقف تجاه مظاهر التشرذم والتفرقة، وقال مشددًا :يجب علينا تعميق أواصر الإخاء نحو قيم المحبة والخير والأخلاق، وأن الشعب العراقي ينتظر منا إخراجه من محنته ، مشيرًا فضيلته الى الدور المشرق الذي وقفه العراقيون والعشائر في ثورة العشرين حينما أراد الانكليز ضرب الشعب بعضه ببعض قائلاً: إن التلاحم الجماهيري فوت على الإنكليز فرصة تقسيم العراق.

على صعيد ذي صلة اكد الشيخ العيساوي: أن التنازع بعيدين

عنه وان المسلمين وحدة واحدة مضيفاً: الخير في وحدتنا وجمع كلمتنا، وأن التوحيد هو الجوهر والإطار الرئيس، وأكد بالقول: يا أبناء علي وعمر وحدتنا قائمة والمطلوب منا الوقوف ضد السهام الموجهة إلينا وأن العراق لن يكون جميلاً إلا باجتماع أطيافه وبقاءه متماسكًا هو ما أغاض الأعداء.

هذا ودعا إمام الحضرة القادرية الى الحوار الجاد واحترام الرأي الآخر وعدم النظر إلى الماضي لأنه مضيعة للوقت وشدد قائلاً: علينا التطلع الى مستقبل العراق يوم يأتي أبن البصرة والموصل والأنبار لزيارة أمير المؤمنين (ع) في النجف الاشرف .

* * *

الشيخ محمد سعيد النعماني عضو الامانة العامة لأتحاد علماء المسلمين:

أكد سماحة الشيخ محمد سعيد النعماني عضو الامانة العامة لاتحاد علماء المسلمين في الملتقى الوطني الثاني لعلماء السنة والشيعة أن النجف الاشرف عاشت هموم الأمة من تحرير الجزائر إلى فلسطين والوقوف مع وحدتها وقال: علينا أن ننظر إلى الماضي لنأخذ منه الإيجابيات وننظر إلى سلبيات الماضي لتجاوزها الى إيجابيات.

الى ذلك شدد الشيخ النعماني على ضرورة بناء المستقبل على أسس صحيحة مشيراً سماحته إلى مجموعة شخصيات دينية

كان لها الأثر الفاعل والدور المميز في توحيد الصف وحدة كلمة المسلمين منهم آية الله تعالى السيد محسن الحكيم (قدس سره) والسيد محمد باقر الصدر (قدس سره) الذي قال «أنا لك ياولدي السني مثلما أنا لك يا ولدي الشيعي» وقال :تربينا هذه الوحدة ونتاجها فلا نريد مثالاً مهزوزًا.

هذا وقرأ سماحته في ختام كلمته مقتطفات من البيان الختامي لاجتماع اتحاد علماء المسلمين.

* * *

كلمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية يلقيها

الدكتور محمد علي آذرشب

القى الدكتور الاستاذ محمد علي آذرشب ممثل الامين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية آية الله الشيخ التسخيري كلمة الجمهورية الاسلامية الايرانية في الملتقى تضمنت بحثا علميًا في ثلاث محاور هي:

المحور الاول: الإحياء وقال فيه:

الجسم الحي متواصل مترابط أما إذا ضعفت الحياة في الجسم فتنفصل أجزاؤه ولايحدث بينها مواساة، وإذا اشتكى منه عضو لاتواسيه بقية الأعضاء .

وأكد د.آذرشب أن الحياة المطلوبة في المجتمع الانساني هي توجه الانسان نحو كماله البشري، مشيرًا الى ان عوامل الاجساد

كثيرة واهمها: العترة .وقال: ان الانسان العزيز حي والمجتمع العزيز حي، اما الذل فهو الموت، ومن هنا نفهم شعار الامام الحسين(ع): «هيهات منا الذلة» أي هيهات منا الموت والضعف .

وأضاف في المحور الاول ان معنى التعارف: بالتعبير القرآني هو التبادل المعرفي بين ابناء الامة وشعوبها وهذه ضرورة للاحياء،واضاف ان المجتمع الحي يتجه نحو الشعوب الاخرى ليتعاطى معها، أما إذا فقد الحياة فينغلق على نفسه.

المحور الثاني: توجيه الإنسان إلى المثل الاعلى الكبير:

حيث أكد أنه اذا كان المثل الاعلى للمجتمع كبيرًا فانه يعيش للهموم الكبيرة وينسى الصغائر، وأما إذا كان مثله الأعلى صغيرًا تافهًا فإنه يعيش للأمور الصغيرة بل إن هذه الصغائر تتضخم عنده، وقال: من هنا لابد من طرح الأهداف الكبيرة في المجتمع.

المحور الثالث: تحويل الطائفية الى مذهبية علمية:

حيث أكد أن تقديم المذاهب على أنها مدارس علمية تثري المدرسة الإسلامية، مشيرًا أنه باستطاعة ذلك أن يقضي على الشعور الطائفي ويرفع العلاقة بين المذاهب إلى علاقة علمية وهذا ما نفعله في إيران في إطار جامعة المذاهب الاسلامية .

* * *

ممثل دولة رئيس الوزراء الشيخ الزهيري

قال ممثل دولة رئيس الوزراء سماحة الشيخ عبد الحليم الزهيري: إن الالتزام والاحتياط والتقوى والورع ليس معناه الخشونة والتشدد مع الآخر، فهو يعكس صورة سلبية فيما يعكس الأول المبدئية، والتشدد يعكس الكره للآخر وهذا قد ينفر الآخرين، فيما نجد أن الرسول كان يكسب الآخرين من خلال أخلاقه ﴿ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك.. ﴾ ولم تكن اخلاقه لأجل الكسب وإنما كانت نابعة من القلب لذلك انعكست على الآخرين .

وأكد الشيخ الزهيري من خلال النص القرآني ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ اكد على: أن الرأفة والرحمة من صفات الله والإسلام والرسول محمد(ص) ودليل ذلك مع الأمة الإسلامية ومع الآخرين، وقال لأجل ذلك جعل لهم مواثيق وعهود مع المشركين وأهل الكتاب حتى لايكون التعامل مع الآخرين مزاجيًا أو مصلحيًا، مشير أن من الحكمة أن يدعو الإنسان الى دينه ومذهبه من خلال سلوكه قبل قوله.

وشدد الشيخ الزهيري من خلال الآية القرآنية: ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ قائلا: كن سنيًا أو شيعيًا أو مسيحيًا فذلك شأنك، ولكن كن نموذجًا صالحا لتكسب

لدينك ومذهبك من خلال اعتدالك وتعاملك مع الآخر .

* * *

كلمة الجمهورية العربية السورية

الدكتور احمد بدر الدين حسون

القى سماحة الشيخ عادل الزركاني كلمة الدكتور احمد بدر الدين مفتي الجمهورية العربية السورية التي جاء فيها: نحن في الرحاب الطاهر، وقرب مرقد الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه تجمع القلوب المؤمنة مع اجتماع الأرواح الطاهرة، مترفعة فوق الظواهر والمظاهر، فالأمة واحدة قال تعالى: ﴿ إن هذه امتكم أمة واحدة﴾.

وأضاف: إن الإسلام بمفهومه الشمولي الواسع ينهض باتباعه إلى ذروة العلياء والقوة، ويمنح أنصاره الصمود والثبات والمنعة.

مؤكدًا: أن المشروع الإسلامي هو مشروع وحدوي فيه حقن للدماء، وحفاظ على الأعراض، وفيه حسن الاستفادة من الخيرات، وإيقاف لنزيف الهجرة من الأوطان.

موضحًا: أننا في سورية نقف معكم، ونشد أزركم، منعًا للفتنة، وعملاً على توحيد العراق شعبًا ودولة، للخروج من آثار الاحتلال، وإعادة السيادة الكاملة لأبناء العراق الحبيب، ونناشد الجميع أن يكونوا صفًا واحدًا لقطع الطريق على المفسدين والمخربين، وبناء مستقبل زاهر ومشرق بأيدي الأمناء على رسالة الدين.

وقال: إن الاحتلال لم يأت لنصرة طائفة على أخرى، ولايهمه إن كان مذهب المسلم في العراق سنيا او شيعيًا.

وقال: إن أي مشروع يقدم يجب أن يكون أكبر من قضية حكومة، فالانتماء الأكبر هو المطلوب، ووحدة العراق هي المطلوبة، وما المذاهب والطوائف إلا خادمة للدين والوطن والانسان.

وأكد سماحته : بان العلماء في كل زمان ومكان محط أنظار الآخرين في درء الفتنة وجمع الشمل.

* * *

فضيلة الشيخ خالد الملا رئيس جماعة علماء العراق فرع الجنوب

قال فضيلة الشيخ خالد الملا رئيس جماعة علماء العراق فرع الجنوب: إن ما تكلم عنه فضيلة الشيخ أحمد عبد الغفور السامرائي عن وحدة العراقيين شيء رائع، وكذلك ما تفضل به الشيخ العيساوي وكل من تحدث على هذا المنبر عن الوحدة . وأجد نفسي ضعيفاً أمام هذه الخطب وأمام هذه الكلمات سيما تلك الإشادات الإيمانية لسماحة المرجع الاعلى السيد السيستاني.

الى ذلك شدد الشيخ الملا قائلا: إننا لانريد حديثًا كلاميًا بل حديث يخرج من القلوب : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ وأضاف: إننا في ضيافة سيدنا علي بن أبي طالب،

ومن كان في ضيافة الوصي فهو في ضيافة الله، ومن القضايا المفصلية هو موقف العلماء من العواصف التي عصفت بالبلاد، وإن قوى التكفير أرادت تهجير وقتل أهل العراق ولكنهم فوجؤوا بوحدة العراق.

وتطرق فضيلته إلى ما يقوله البعض وهو: أين مراجع النجف لماذا لا يتحدثون عن القتل في العراق؟ مؤكداً أن المراجع كانوا يدينون جرائم القتل، مضيفاً أننا نريد من العلماء أن يتحدثوا عن عمليات القتل كما يتحدث مراجع النجف.

وحول الفتاوى التكفيرية أكد الشيخ الملا قائلاً: نحن في مذهبنا لا نعطي العصمة إلا للرسول وآل بيته، وأكد في صعيد الاتفاقية الأمنية أن في العراق الجديد برلمان منتخب وعملية سياسية ولا يمكن لأحد من العراقيين أن يقول كلمته في الاتفاقية إلا من خلال المشاورات.

وشدد في ختام كلمته بالقول: علينا أن نحول هذه الملتقيات من الجانب النظري إلى الجانب العملي.

* * *

كلمة الشيخ حسين الطائي ممثل سماحة الشيخ اليعقوبي

قال الشيخ حسين الطائي ممثل سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي نحتاج الى تصحيح المفاهيم الإسلامية ونحتاج إلى عكس روح الوحدة في كل مفاصل حياتنا اليومية، مضيفاً أن

إسلامنا يعيش خطرين على المستوى الداخلي وعلى المستوى الخارجي، فالداخلي هو الاحتلال والخارجي هو الإرهاب، مؤكداً أن الاحتلال له عدة اشكال وأنواع فمنه عسكري واخر سياسي واخر ثقافي، ودورنا كرجال دين هو مواجهة الاحتلال الثقافي والوقوف بوجه المد الغربي من خلال إحياء العروبة والإسلام، مضيفاً:أعتقدُ بأنه من أجل تحقيق هذا الهدف ينبغي دراسة الفقه المقارن وفتح باب الاجتهاد للمذاهب الاخرى .

* * *

البيان الختامي للقاء

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد النجاح والتوفيق والترحيب الذي ناله الملتقى الوطني الأول لعلماء السنة والشيعة في العراق جاءت الدعوة لانعقاد الملتقى الوطني الثاني والذي حضره جمع كبير من علماء العراق من المحافظات العراقية بالإضافة الى حضور من أقطار إسلامية أخرى. ومن خلال الكلمات التي ألقيت من السادة العلماء التي كانت منارًا يستضيء به المسلمون.. استلهمت التوصيات التالية..

١ -التاكيد على وحدة العراق شعبًا وارضًا وبكافة مكوناته الدينية والمذهبية والقومية .

٢ -التأكيد على وحدة الأمة الإسلامية في مواجهة التحديات الخارجية والداخلية والوقوف صفاً واحداً في الدفاع عن قضاياها المصيرية.

٣ -ضرورة ترشيد الخطاب الإسلامي والاسترشاد بهدي المرجعيات الدينية في تحقيق الوسطية والاعتدال .

٤ -الدعوة للاستمرار في إنجاح التجربة العراقية والحفاظ على مكتسباتها وضرورة المشاركة العامة في الانتخابات وانتخاب الأفضل خدمة للصالح العام .

٥ -التاكيد على سيادة العراق واستقلاله وحفظ حقوقه وكرامة شعبه وثرواته .

٦ -استنكار جميع عمليات الإرهاب التي تستهدف أمن البلد وشعبه من القتل والتهجير ولكافة اطيافه .

٧ -الدعوة إلى الحوار الإسلامي البناء في ظل المنهجية العلمية والروح الإسلامية بعيداً عن التنازع والتفرق .

٨ -سيادة العراق، والشفافية الكاملة، ووحدة الموقف الوطني، هي الشروط المطلوبة في دراسة الاتفاقية الأمنية وتتحمل مراكز القرار ملاحظة هذه الشروط لكسب قناعة الشعب .

٩ -الإشادة بدور الأجهزة الامنية في حفظ النظام في محافظات العراق كافة ونشد على أيديهم في الاستمرار ببذل الجهود لإرساء قواعد الأمن والاستقرار في بلدنا الحبيب .

القراء الكرام

المجلة تستهدف :

١ - تقديم مفاهيم التقريب وقضاياه باختصار، ومحاولة تطوير الأسلوب لينسجم مع حجم المقال والذوق الأدبي.

٢ - التركيز على الجوانب العملية القائمة في الساحة وفي الأذهان بشأن وحدة الأمة الإسلامية.

٣ - التوجّه إلى الثقافة العامّة للتنوير ولمعالجة الإشكاليات على ساحة أوسع من المهتمين بقضايا الأمة.

٤ - ربط قضية التقريب بالمشروع الكبير للأمة وهو تفعيل ثقافتها وتوجيه حركتها نحو استعادة وجودها الحضاري.

نتقدّم أولاً بالشكر لكلّ من ساندنا، ونطلب من القراء الكرام أن يتفضلوا علينا بملاحظاتهم ونقدهم ومساهماتهم على العنوان:

dr.azarshab@gmail.com